
بقايا
رَجُــــــل
AZELMAD

الكـاتبة ،خديجة أزلماض

***"ثمة لحظة، لا تعود فيها كما كنت...
لحظة يكسر فيها الغضب آخر ما تبقى منك، ويتركك وجهًا لوجه مع الوحش الذي كنت تظنه نائمًا بداخلك."***

الفصل الأول

داخل الجامعة – منتصف النهار

كان الهواء دافئًا رغم نسيم الخريف الذي يتسلل عبر النوافذ الكبيرة للمكتبة، يبعثر بعض الأوراق المكدسة على الطاولات الطويلة. جلست هي في زاوية بعيدة، كما اعتادت دائمًا، غارقة في كتاب حول التحليل النفسي للجريمة. عيناها تتحركان ببطء عبر السطور، لكنها لم تكن تقرأ فعليًا—كان عقلها مشوشًا، كما لو أن هناك فكرة ثقيلة تعلق في ذهنها، ترفض أن تنزاح.

"أنتِ تعيشين في كتب الجريمة أكثر مما تعيشين في الواقع."

رفعت نظرها نحو صديقتها المقربة، التي جلست أمامها واضعة كوب القهوة على الطاولة. كانت ابتسامتها خفيفة، تحمل مزيجًا من المزاح والقلق، كما اعتادت أن تفعل كلما شعرت بأنها تنعزل أكثر من اللازم.

"لأن الواقع ممل." أجابت بصوت منخفض، عادت به إلى الكتاب، محاولة التهرب من نقاش آخر حول كيف يجب أن "تنفتح على الحياة أكثر".

"بل لأنه مخيف." ردت صديقتها وهي تسند ذقنها إلى يدها، تتفحص ملامحها بتمعن. "تدرسين علم النفس الإجرامي، لكنكِ لا تقتربين من الناس أبدًا... أليس هذا متناقضًا؟"

"أنا أدرسهم من بعيد، هذا كل ما أحتاجه."

لم ترد صديقتها، لكنها أطلقت زفيرًا مستسلِمًا، وكأنها تعرف أن الجدال لن يُجدي نفعًا.

الساعة الآن كانت تشير إلى الرابعة مساءً. كانت تسير بخطوات سريعة نحو البوابة الرئيسية، تنوي العودة إلى المنزل بعد يوم طويل، عندما سمعته.

"إلى أين بهذه السرعة؟"

تجمدت قدماها للحظة، قبل أن تحاول التظاهر بأنها لم تسمع. تابعت سيرها، لكنها شعرت بالحركة خلفها، أسرع مما توقعت. لم يمر سوى ثانية حتى كان أمامها، يسد الطريق.

آدم.

عيناه، تلك النظرة المتملصة التي تحمل شيئًا يفوق الوقاحة، جعلت معدتها تنقبض كما يحدث في كل مرة.

"ألم نتفق أنكِ ستتوقفين عن تجاهلي؟" قال، صوته هادئ لكنه محمّل بسخرية مبطنة.

"أنا لستُ مجبرة على شيء." أجابت ببرود، محاوِلة التملص منه.

"أوه، لكنكِ مجبرة... بطريقةٍ ما."

أصابعه امتدت تلامس معصمها، لم يكن عنيفًا، لكنه كان يكفي لجعل جسدها كله ينتفض. ليس بسبب اللمسة نفسها، بل بسبب ما خلفها—التكرار، المرات السابقة، النظرات التي لم تنتهِ منذ سنتها الأولى هنا.

"اتركني." قالت بصوت حاد، محاولة سحب يدها، لكنه شدها إليه قليلًا، حاجباه يرتفعان باستمتاع واضح.

"أنتِ تعرفين أنني لا أقبل الرفض، أليس كذلك؟" همس، صوته قريب جدًا من أذنها.

وهذا ليس تهديدًا، بل وعد... في"
النهاية، ستكونين لي، شئتِ أم أبيتِ."

حاولت أن تخفي رعشة يدها، أن تحافظ على تماسكها أمامه، لكنها كانت تعرف... هذه المرة لن ينتهي الأمر عند هذا الحد.

على الطرف الآخر من المدينة، كان هو يجلس وسط كومة من الأوراق والتقارير المالية، في مكتبه الفخم ذي النوافذ الزجاجية المطلة على شارع يعج بالحياة.

بالنسبة له، لم يكن هناك شيء خارج عن المألوف. كل شيء يسير وفق النظام، الصفقات تُبرَم، الاجتماعات تُعقد، والأرقام تواصل التحرك كما يفترض بها أن تفعل.

كل شيء... تحت السيطرة.

لم يكن يدري، أن خارجه، هناك شيء صغير جدًا، لحظة واحدة فقط، ستغير كل شيء.

الفصل الثاني

منزل سيانا – صباح يوم الأحد

كانت الشمس تتسلل بخجل عبر الستائر الرمادية المتهالكة، ترسم خطوطًا ذهبية على الجدران المتشققة. رائحة القهوة السوداء تفوح من المطبخ الصغير، ممزوجة برائحة الخبز المحمص.

سيانا جلست على الطاولة الخشبية المستديرة، تحرك ملعقتها في فنجانها الصغير ببطء، بينما تتسلل

أصوات والدتها من الغرفة المجاورة وهي تجهز نفسها للعمل.

البيت كان بسيطًا... ربما بسيطًا أكثر مما يحتمل، لكنه مألوف ودافئ.

جدران باهتة... أرائك عتيقة... صور قديمة معلقة في إطارات متشققة.

"سيانا، لا تنسي غسل الصحون قبل خروجك." جاء صوت والدتها بنبرة مرهقة لكنها حنونة.

"حسنًا، ماما."

الحياة هنا كانت روتينية... عادية... بلا تعقيد.

عائلة متوسطة الحال بالكاد تكفيها الأيام، لكنها كانت تحب هذا التواضع... أو على الأقل، كانت تحاول.

خرجت إلى الشارع، الحي هادئ... الأزقة ضيقة ومليئة بالأطفال يلعبون بالكرة، بينما السيدات يجلسن على العتبات يتبادلن الأحاديث.

سيانا كانت تنتمي لهذا العالم... عالَم يملؤه البساطة، لكنه لا يحمي أحدًا.

منزل آل الدمناتي

على بعد أميال قليلة فقط، لكن في عالم مختلف تمامًا، كانت الشمس تتسلل عبر نوافذ زجاجية ضخمة تطل على حديقة خضراء واسعة.

فيلا فخمة على الطراز الأوروبي، ممرات من الرخام الأبيض، وثريات كريستالية تتدلى من السقف. كانت رائحة القهوة هنا أيضًا تملأ المكان، لكنها تنبعث من ماكينة إسبريسو باهظة الثمن، لا من إناء قديم فوق موقد غاز.

آسر يجلس في مكتبه الصغير، عيناه مثبتتان على شاشة الحاسوب، يراجع التقارير المالية للشركة.

حياته كلها كانت تدور حول النظام... الأرقام... السيطرة.

لا مجال للفوضى.

لا مجال للأخطاء.

على النقيض تمامًا، في الطابق العلوي، كان آدم يعيش حياة مختلفة تمامًا. صوت الموسيقى الصاخبة يتردد من غرفته، رائحة السجائر تعبق في الجو رغم التحذيرات المتكررة من والده.

غرفة فوضوية... ملابس مبعثرة... زجاجات فارغة على الطاولة.

كان آدم نقيض شقيقه الأكبر.

مغرور... متهور... يرى نفسه فوق الجميع، ولا يتردد في إثبات ذلك عند كل فرصة.

في مساء هذا اليوم كانت سيانا تجول بين رفوف الكتب في أحد المتاجر الصغيرة بالمركز التجاري. المكان مزدحم، أصوات الموسيقى تتداخل مع ضحكات الشباب، بينما كانت هي تحاول الابتعاد قدر الإمكان عن الضجيج.

في لحظة واحدة، شعرت بنظرة ثقيلة تخترق ظهرها... تلك النظرة التي تعرفها جيدًا ، لقد كان آدم.

كان يقف في الجهة المقابلة، يتكئ على أحد الأعمدة، سيجارة بين

أصابعه، ونصف ابتسامة مستفزة ترتسم على شفتيه.

"حتى في مكان مثل هذا تجدين طريقة لتخبئي نفسك؟"

تجاهلته، تحركت نحو زاوية أخرى، لكن خطواته تبعتها.

"أعتقد أنكِ بدأتِ تشعرين بنفسك كثيرًا هذه الأيام... هل أصبحتِ فتاة جامعية مثقفة؟"

لم ترد.

أمسك بذراعها فجأة، قبضته قوية بما يكفي لجعل أنفاسها تتسارع.

اقترب منها أكثر، كأن المكان كله توقف عن الحركة.

"لا تتجاهليني يا سيانا... أنتِ تعرفين أني أكره التجاهل."

رائحة سجائره جعلتها تشعر بالغثيان، أصابعه كانت تدفعها إلى الحائط، بينما يحني رأسه أكثر حتى أصبح وجهه قريبًا جدًا من وجهها.

"لا أحد سينقذكِ هذه المرة... كما أنكِ تحبين اللعب معي، أليس كذلك؟"

عيناه الضيقتان كانت تمتلئان بشيء مظلم... شيء قذر.

"أرجوك... اتركني." همست بصوت مرتجف.

"سأتركُكِ الآن... لكن تذكري، سيأتي يوم لن تحتاجي فيه إلى التوسل."

تراجع أخيرًا، تركها ترتجف في مكانها، بينما اختفت ضحكته بين الزحام.

في نفس اللحظة، كان آسر ينهي عمله في المكتب. أغلق الحاسوب،

رتب أوراقه بعناية، ثم ارتشف جرعته الأخيرة من القهوة قبل أن يغادر.

لم يكن يدري... أن أخاه الصغير يقضي ليلته في مكان آخر، يحطم حياة أخرى...

حياة سيانا.

الفصل الثالث

الجامعة ، بداية الأسبوع

قاعة المحاضرات كانت هادئة، صوت الأستاذ ينساب برتابة بين المقاعد بينما الجميع منشغلون بتدوين الملاحظات أو التحديق في الشاشات. سيانا كانت تجلس في الزاوية، تحاول التركيز، لكن عقلها كان في مكان آخر...

منذ الحادثة في المركز التجاري، وهي تشعر بأن هناك عيونًا تراقبها.

نظرت حولها بحذر، التقت عيناها بعينيه... آدم.

كان يجلس بعيدًا، مسترخيًا في مقعده، ذراعه متكئة على الكرسي، ابتسامة خفيفة تلعب على شفتيه... ليست ابتسامة ودية، بل ابتسامة

مفترس يعرف أن فريسته بدأت تشعر بالخوف.

أخفضت نظرها بسرعة، شعرت بقلبها يخفق بجنون، وكأن جسدها يستجيب لتحذير غير مرئي. حاولت أن تتجاهله، لكن كل خلية في جسدها كانت تهمس: إنه هنا. إنه يراقب.

عندما انتهت المحاضرة، جمعت كتبها بسرعة، متجنبة النظر في اتجاهه. كانت تخطط للخروج قبل أن يقترب، لكن قبل أن تصل إلى الباب، سمعت صوته خلفها:

"سيانا..."

تجمدت في مكانها. لم ترد.

"لماذا تهربين دائمًا؟ ألا تعلمين أن هذا يجعلني أرغب في مطاردتك أكثر؟"

صوت خطواته يقترب... نبضها يتسارع.

"أنتِ تتجنبينني، وهذا ليس لطيفًا. بعد كل شيء، سنتزوج يومًا ما، أليس كذلك؟"

توقفت أنفاسها للحظة، التفتت إليه أخيرًا، تلتقي بنظراته الجريئة التي لا تحمل أي احترام أو تردد.

"أنتَ مجنون!"

ضحك بصوت منخفض، اقترب منها أكثر حتى كادت تشعر بأنفاسه الدافئة على وجهها.

"بل واثق."

تركها ورحل، كأن كلماته لم تكن سوى مزحة، لكنه ترك وراءه إحساسًا

ثقيلًا بالخطر... إحساسًا يخبرها بأن الأسوأ لم يبدأ بعد.

في الطرف الآخر من المدينة – مكتب آسر

آسر كان جالسًا خلف مكتبه، يراجع العقود الجديدة بصمت. لم يكن يحب المقاطعات، لكن هذه المرة، دخل آدم دون استئذان، وألقى بجسده على الأريكة الجلدية أمامه.

"لدي خبر ممتع لك، أخي الكبير."

آسر بالكاد رفع عينيه عن الأوراق.

"لا وقت لدي لتفاهاتك، آدم."

"أوه، لكنك سترغب في سماع هذه."

صمت للحظة، ثم أضاف بابتسامة ساخرة:

"أعتقد أنني وجدت الفتاة التي سأجعلها تحمل اسم العائلة."

آسر أخيرًا رفع نظره، حاجباه انعقدا بشك.

"ماذا تقصد؟"

"سأتزوج قريبًا، وما أجمل أن تكون العروس من النوع الذي يتوسل قبل أن يقول نعم."

لم يعجبه نبرة أخيه، لكنه تجاهل الأمر. لم يكن مهتمًا بحياته العابثة.

لكنه لم يكن يعلم... أن هذه المرة، ستكون مختلفة.

الفصل الرابع

المساء – ممرات الجامعة

كان الهواء باردًا هذه الليلة، رياح خفيفة تعبث بأوراق الأشجار

المصفوفة على جانبي الممرات. معظم الطلاب غادروا، ولم يتبقَّ سوى قلة منهم، إما منشغلين بمذاكرتهم في القاعات الفارغة، أو يسيرون بخطوات متثاقلة إلى بوابة الخروج، مستعدين لمغادرة هذا المكان المليء بالروتين اليومي.

سيانا كانت آخر المغادرين.

أغلقت حقيبتها ببطء، تشبثت بها كأنها درع يحميها، وخرجت من القاعة، متجهة نحو المخرج الخلفي المؤدي إلى ساحة السيارات. لم تكن تحب البقاء في الجامعة لوقت متأخر، لكن محاضراتها الأخيرة جعلت الأمر ضروريًا.

مع كل خطوة تخطوها، كانت تشعر بذلك الشعور المزعج... الشعور بأن أحدهم يراقبها.

عقلها حاول إقناعها بأنها تتخيل، لكن شيئًا ما في قلبها كان يصرخ بأنها ليست وحدها. أسرعت في مشيها، أنفاسها بدأت تتسارع مع دقات قلبها المتوترة.

ثم سمعته.

ذلك الصوت.

"هل كنتِ تحاولين الهرب مني، سيانا؟"

تجمدت في مكانها. صوته المنخفض كان يحمل شيئًا زاحفًا، شيئًا جعل القشعريرة تتسلل إلى عمودها الفقري كيد باردة تُطبق عليه.

التفتت ببطء، وعيناها اصطدمتا بابتسامته المائلة، ونظرته التي تحمل شيئًا أكثر خطورة من مجرد مزاح ثقيل.

آدم.

وقف هناك، مستندًا إلى الجدار، يعبث بزر كم قميصه، كأنه لم يكن قد تبعها طوال الطريق. عيناه تراقبانها ببطء، تفحصان كل حركة، كأنهما تدرسان رد فعلها بدقة.

حاولت السيطرة على ارتجاف يديها، شدّت أصابعها حول الحقيبة كأنها تحاول استجماع القوة من شيء مادي، ثم قالت بصوت ثابت:

"ابتعد عن طريقي، آدم."

ضحك بصوت خافت، ثم بدأ يسير نحوها بخطوات بطيئة، واثقة، كأنه مفترس يلعب بطريدته قبل أن ينقض عليها.

"لماذا كل هذا الجفاء؟ لقد قلتُ لك من قبل... سنتزوج يومًا ما. يجب أن نكوّن علاقة جيدة، لا تعتقدين ذلك؟"

حاولت التراجع، لكن ظهرها اصطدم بالجدار. أدركت أنها في زاوية مغلقة، والقليل من المارة في الطرف الآخر لا يلاحظون ما يحدث هنا.

لمست يداه الجدار قرب وجهها، حاصرها كليًا.

"أنتِ جميلة، سيانا. حتى عندما تحاولين أن تظهري شجاعتك، أستطيع رؤية الخوف في عينيك."

جسّد كلماتها. أنفاسها ضاقت، رئتاها أصبحتا ثقيلتين، كأن الهواء لم يعد يصل إليهما.

إنه يحدث مجددًا.

كل تلك الذكريات... كل لحظة شعرت فيها بالخوف والعجز، كل مرة حاولت فيها الصراخ لكن صوتها لم يخرج، كل مرة كانت تحاول أن تتجاهله، لكنها تعلم أنه سيعود.

يديها بدأت ترتجفان، العرق البارد بدأ يتسلل إلى جبينها، وشعور مرعب بالشلل اجتاحها.

"أترين؟" همس بصوت ساخر. "أنتِ ضعيفة جدًا."

عندما رفع يده ليلمس وجنتها، انطلقت غريزتها الدفاعية، دفعت

صدره بكل قوتها، وتحركت بسرعة للهرب. لكن قبل أن تتخطاه، أمسك بمعصمها بقوة.

"ليس بهذه السهولة، سيانا."

عينيه التمعتا بشيء خطير، صوته كان مزيجًا بين اللهو والغضب المكتوم، وكأن مقاومة صغيرة منها أشعلت داخله شيئًا أكثر سوءًا.

"دعنـي، آدم! أتركـني!" صرخت، تحاول تحرير يدها، لكن قبضته كانت من حديد.

نظر حوله سريعًا، ثم شدّها إليه أكثر، حتى لم يعد هناك مسافة بينهما.

"ما رأيكِ أن نتحدث هنا قليلاً؟ بعيدًا عن العيون، حيث لا أحد يستطيع التدخل؟"

عينيها اتسعتا، قلبها كان يضرب صدرها بعنف. الذعر أصبح وحشًا يلتهمها من الداخل.

بدأت تتخبط، تحاول المقاومة بعشوائية، لكن كل حركة منها كانت تزيده متعة. ضحك بصوت منخفض:

"أوه، تعجبني هذه الروح القتالية." "ستجعل الأمر أكثر إثارة."

كادت تبكي من العجز، لكن فجأة، صدر صوت عالٍ في الخلف.

"ماذا تفعل؟!"

تجمد آدم.

يداه استرختا قليلاً، مما أتاح لها فرصة لتبتعد بسرعة، ممسكة بمعصمها الذي بدأ يتحول إلى اللون الأحمر من قوة قبضته. التفتا معًا نحو الصوت، ورأيا إحدى زميلاتها تقف في نهاية الممر، نظراتها مليئة بالصدمة والريبة.

آدم، وكأنه لم يكن على وشك فعل شيء خطير، ابتسم بهدوء، مرر يده في شعره بخفة، وقال بصوت مرح:

"أوه، مجرد حديث ودي. لا داعي للقلق."

لكن سيانا كانت تعلم... لم يكن ودّيًا على الإطلاق.

الفصل الخامس: سقوطٌ نحو الهاوية

كانت الجامعة تعجّ بالحركة، ضجيج الطلاب، أصوات المحاضرات المتداخلة، ووقع الأقدام على الأرضية الرخامية اللامعة. بالنسبة للغرباء، قد تبدو مجرد يوم دراسي آخر، لكن بالنسبة لسيانا، كان هذا اليوم مختلفًا... شعور ثقيل جثم على صدرها منذ الصباح، وكأن شيئًا رهيبًا كان على وشك الحدوث.

خرجت من قاعة المحاضرات متثاقلة، تحاول أن تتجاهل النظرات المريبة التي كانت تلاحقها. منذ أيام وهي

تشعر أن هناك من يراقبها، خطواتها، تحركاتها، حتى أنفاسها. لكن عندما تستدير، لا تجد أحدًا.

قبل أن تتجه نحو المخرج، سمعت صوتًا مألوفًا يجمّد الدم في عروقها.

"إلى أين تظنين أنكِ ذاهبة؟"

توقفت في مكانها، أطرافها تخذلها. كان الصوت يأتي من خلفها، ناعمًا، ساخرًا، يحمل في طياته تهديدًا صامتًا. التفتت ببطء، وقلبها يخفق بعنف. آدم.

وقف أمامها، عيناه تتوهجان بظلال مظلمة، وشفتاه تحملان ابتسامة متكلفة. لم يكن وحيدًا، بل كان هناك

رجلان آخران يقفان على مسافة قريبة، وكأنهما ينتظران أمرًا منه.

"دعني وشأني، آدم..." حاولت أن تجعل صوتها حازمًا، لكنه خرج ضعيفًا، مرتعشًا.

ضحك، خطوة واحدة منه جعلتها تتراجع لا إراديًا. "قلتُ لكِ من قبل، لا يمكنكِ الهرب مني. عاجلًا أم آجلًا، ستكونين لي."

أمسك بمعصمها بقوة، سحبها نحوه، همس في أذنها بصوت منخفض كفحيح الأفعى: "تعلمين؟ سئمت هذه اللعبة. آن الأوان لننهي الأمر."

لم يمنحها فرصة للرفض، بدأ في سحبها عبر الممرات، خطواته كانت سريعة وغاضبة.

"آدم، توقف! أتركني!" حاولت التملّص، لكنه كان أقوى منها بكثير.

صعدا السلالم، طابقًا بعد آخر، حتى وجدت نفسها أمام باب معدني صدئ يؤدي إلى سطح المبنى. دفعه بقوة، الهواء البارد صفع وجهها وهي تتراجع خطوة إلى الخلف.

"لماذا أحضرتني إلى هنا؟" سألت بصوت مبحوح، قلبها يطرق في صدرها بجنون.

أغلق الباب خلفه، استدار إليها ببطء، عيناه تلمعان بجنون. "لأنني مللتُ من الهروب. إما أن تقبلي بي، أو..." ترك كلماته معلقة، لكن نظرته أخبرتها بالباقي.

ابتلعت ريقها، جسدها تجمد في مكانه. لم يكن يمزح.

مد يده ولمس وجهها ببطء، كأنما يحاول أن يحفر لمسته على جلدها. "سيانا، لا تجبريني على فعل شيء أندم عليه."

"ابتعد عني!" صرخت، دفعت صدره بكل ما أوتيت من قوة، لكنه لم يتزحزح.

أمسك بكتفيها، أصابعه تنغرس في بشرتها، صوته خرج مظلمًا: "أنتِ لي، شئتِ أم أبيتِ."

حاولت التملص، لكنه دفعها بقوة نحو الحاجز المعدني الذي يفصل سطح المبنى عن الفراغ القاتم أدناه.

عندما حاول أن يجبرها على الاقتراب أكثر، تجمّعت كل مخاوفها، كل كوابيسها، كل آلامها في تلك اللحظة. شعرت بأنها تختنق. الذكريات هاجمتها، الأوقات التي كان يطاردها، النظرات المليئة بالتهديد، اللمسات التي لم ترغب بها أبدًا...

كان يريد أن يسحقها تمامًا، أن يطوّعها لرغباته.

لكنها لن تسمح له.

اندفعت بكل قوتها، دفعت صدره فجأة، جسدها كله تحرك في ردة فعل غريزية.

لم تدرك ما حدث إلا عندما سمعت الصرخة.

عيناها توسعتا بصدمة وهي تراه يسقط.

الجاذبية سحبت جسده نحو الأسفل، الزمن تباطأ للحظة، ثم تسارعت الأحداث في ثانية واحدة.

صرخة... اصطدام... ثم... صمتٌ مريع.

شهقت، تراجعت إلى الخلف، يداها ترتعشان بجنون، أنفاسها تتقطع.

"مستحيل..." همست، عقلها يرفض تصديق ما حدث.

لكن قبل أن تستوعب، قبل أن تحاول حتى أن تلتقط أنفاسها...

جاء الصوت.

"ماذا... فعلتِ؟"

التفتت ببطء، ووجّهت نظرها إلى القادم من الممر.

آسر.

عيناه اتسعتا وهو يرى المشهد أمامه، جسد أخيه الملقى في الأسفل، وسيانا الذاهلة، الواقفة فوق السطح.

لم يحتج إلى تفسير.

انفجر الغضب داخله كإعصار هائج، في أقل من ثانية كان أمامها، قبضته ارتطمت بخدها بقوة جعلتها تتهاوى على الأرض.

"لقد قتلته...!" صرخ بصوت خرج كهدير الوحش.

حاولت أن تتحدث، أن تدافع عن نفسها، لكن قبضته أمسكت بعنقها، شدّها من شعرها، عينيه تشتعلان بجنون.

"تظنين أنكِ ستهربين بفعلتكِ؟ سأريكِ ما معنى الجحيم الحقيقي."

أشار إلى رجاله الذين ظهروا فجأة، أمرهم بصوت قاسٍ: "خذوها."

المستشفى

في قسم الطوارئ، كان الهدوء مشوبًا بتوتر قاتل. الأطباء والممرضون يركضون في الممرات، أصوات الأجهزة الطبية تملأ الفراغ.

خارج غرفة العمليات، وقفت والدة آسر، يداها ترتعشان، ووجهها شاحب كالموتى. عندها، خرج الطبيب أخيرًا، تعابيره قاتمة، وصوته هادئ لكنه قاتل.

"أنا آسف... لقد فقدناه."

دوى صوت الصرخة في أرجاء المستشفى، صوت أم فقدت ابنها.

آسر، الذي وقف جامدًا بجانبها، لم يبدِ أي رد فعل. عيناه كانتا مظلمتين، باردتين... لكن داخله، كان هناك شيء يُحطم ببطء، وشيء آخر يولد.

شيء مظلم... شرس... ولا يمكن إيقافه.

في تلك الليلة، اجتمعت العائلة. لم يكن هناك بكاء فقط، بل كان هناك غضب، رغبة في الانتقام.

وفي قلب تلك الدوامة السوداء...

كان اسم سيانا يتردد كلعنة.

الفصل السادس

صمت ثقيل... لم يكن هناك نحيب صاخب، ولا صرخات ألم، فقط همسات مكتومة، ودموع تُمسح سريعًا كما لو كان الحزن يجب أن يظل مختبئًا خلف الوجوه المتجهمة.

السماء ملبدة بالغيوم الرمادية، كأنها تعكس الكآبة التي تخيّم على القصر الكبير. في ساحة القصر الخلفية، اجتمع أفراد العائلة، رجال الأعمال، الأصدقاء، وحتى بعض المنافقين الذين جاؤوا فقط لإثبات وجودهم

أمام عائلة النفوذ والمال. كانت الزهور البيضاء تملأ الأجواء، لكن رائحتها لم تستطع أن تطغى على رائحة الموت التي تسللت إلى كل زاوية.

في وسط كل هذا، كانت والدة آدم جالسة على مقعد مزخرف، يداها ملتفتان حول منديل أبيض تلطّخ بالكحل والدموع. لم تكن تبكي بصوت عالٍ، لكنها كانت تحدّق في الفراغ، وكأن روحها غادرت مع ابنها. إلى جانبها، كان والده واقفًا، وجهه صارم، متحجر الملامح، لكن قبضته على عصاه كانت مشدودة لدرجة أن عروقه برزت.

وقف آسر على مسافة منهم، مرتديًا بذلة سوداء قاتمة، لكنه لم يكن ينظر

إلى الجسد المسجى أمامه. كانت عيناه ثابتتين على شيء آخر... على الظلام الذي بدأ يتخلل روحه، على الغضب الذي لم يعد مجرد شعور، بل وحش متفجر ينتظر لحظة الانفجار.

في الجانب الآخر من المدينة...

لم تكن هناك جنازة رسمية، لم يكن هناك قصر مملوء بالمعزين، بل منزل صغير بسيط، حيث جلست والدة سيانا على الأريكة، عيناها منتفختان من البكاء. لم تكن تعلم أين ابنتها، لم تكن تعلم لماذا لا ترد على مكالماتها، لكن شعورًا خانقًا كان يضغط على صدرها، كأنها تعلم أن مصيبة كبرى قد وقعت.

كانت الشائعات بدأت تنتشر، عن علاقة سيانا بموت آدم، عن اختفائها المفاجئ. لم يجرؤ أحد على طرق باب منزلهم، لكن الهمسات كانت تطاردهم أينما ذهبوا.

بين الجنازتين... كان هناك شخص واحد يعرف الحقيقة كاملة.

آسر.

لم يكن يحتاج إلى انتظار الشرطة، لم يكن يريد سماع أي أعذار أو تبريرات. رأى المشهد بعينيه، رأى كيف سقط شقيقه، رأى الرعب في عينيها، رأى الدم يغطي الأرض.

وكان عليه أن يردّ الدين.

المستودع المهجور...

فتحت سيانا عينيها على الظلام. البرد كان ينخر عظامها، والأرض الصلبة تحت جسدها أضافت طبقة جديدة من الألم إلى الكدمات التي لا تعرف حتى كيف حصلت عليها.

حاولت تحريك يديها، لكن معصميها كانا مقيدين خلف ظهرها. حاولت التنفس بعمق، لكن الهواء كان مليئًا بالغبار والرطوبة، مما جعل رئتيها تحترقان.

ثم سمعت صوت خطوات تقترب.

كان الصوت ثابتًا، مدروسًا، لا يحمل أي تردد. وعندما ظهر، لم تكن بحاجة إلى رؤية ملامحه لتعرف من هو.

آسر.

وقف أمامها، يده في جيب سترته، عيناه باردتان، أكثر برودة من أي وقت مضى.

"أخيرًا استيقظتِ."

كلماته لم تحمل أي انفعال، لكنها جعلت القشعريرة تسري في جسدها. حاولت التحدث، لكن حلقها كان جافًا، وكأنها لم تتذوق الماء منذ أيام.

"لماذا...؟" بالكاد خرجت الكلمة منها.

انحنى أمامها، نظر إليها كما لو كانت شيئًا تافهًا، مجرد كائن ينتظر العقاب.

"لماذا؟ لأنك قتلتِ شقيقي."

شهقت، جسدها انتفض بعنف. "أنا... لم أقصد... لقد كان..."

صفعة. قوية، سريعة، جعلت رأسها يرتد للخلف ووجهها يشتعل ألمًا.

"لا أريد سماع أعذارك." صوته كان هادئًا، لكن خلف ذلك الهدوء كان هناك إعصار قاتل.

سحب كرسيًا، جلس أمامها وكأنه يستمتع بالمشهد. "أتعلمين؟ كنت أفكر... كيف يجب أن يكون عقابك؟"

حاولت التملص، لكن قيودها كانت محكمة.

"هل أقتلكِ؟" ابتسم ببرود، وكأنه يناقش أمرًا عاديًا. "أم أترككِ تعيشين؟ لكن ليس كإنسانة... بل كشيء بلا قيمة، بلا روح، بلا كرامة؟"

دموعها بدأت تنهمر، لكنها لم تستطع حتى أن تمسحها.

"آسر... أرجوك..."

"تتوسلين الآن؟ أين كانت توسلاتك عندما دفعتِه من السطح؟ أين كانت رحمتكِ؟"

وقف مجددًا، اقترب منها، مد يده إلى ذقنها، رفع وجهها إليه.

"سأجعلكِ تتمنين الموت، سيانا... لكنني لن أمنحكِ إياه بهذه السهولة."

توسعت عيناها بالرعب، وقبل أن تفهم ما يعنيه تمامًا، شعرت بأصابعه تلتف حول عنقها، تضغط ببطء، وببطء شديد... بدأت الظلمة تبتلعها مرة أخرى.

—

الفصل السابع

كان المطر يهطل بهدوء، قطراته تتساقط على الأرض الرطبة، تلامس الرخام البارد حيث وقف آسر بوجه جامد أمام قبر شقيقه.

السماء الرمادية بدت كأنها تعكس الحداد الذي يخيم على العائلة، فيما اجتمع المعزون حول والدَي آدم اللذين بدت عليهما الصدمة أكثر من الحزن. والدته لم تنطق بكلمة واحدة منذ إعلان الخبر، مجرد جسد هزيل يحدق في اللاشيء، بينما والده كان يتلقى التعازي بملامح متجمدة، قبضة يده على عصاه ترتعش قليلًا.

وقف آسر بلا تعبير، بلا دموع. كان يعلم أن العزاء والحداد والدموع كلها لا معنى لها. آدم لن يعود.

أما السبب؟ فكان الآن بين يديه.

أخفض عينيه للحظة، ثم نظر إلى والده الذي لم يلتفت إليه لكنه نطق بصوت منخفض، محمل بالغضب:

"لا تتركها تفلت بفعلتها."

كلماته كانت أشبه بأمر مباشر، ليس فقط انتقامًا لآدم، بل لاستعادة كرامة العائلة التي تلطخت بهذه الفضيحة.

آسر لم يكن بحاجة إلى أمر. كان قد بدأ بالفعل.

في المستودع المهجور...

سيانا كانت ممدة على الأرض الباردة، عيناها نصف مغلقتين من الإرهاق والخوف.

كان الألم في كل مكان، في رأسها، في يديها المقيدتين، في روحها الممزقة. كانت لا تزال في فستانها الذي مزقه العنف، شاحبة كأنها شبح، لكنها لم تكن تعرف إن كان ذلك بسبب البرد أم الرعب أم الذنب الذي بدأ يخنقها.

لم تكن تعرف كم مرّ من الوقت منذ أن أُلقيت هنا. لم تكن حتى متأكدة مما ينتظرها، لكن جزءًا منها أدرك الحقيقة منذ اللحظة التي رأت فيها الكراهية في عيني آسر.

باب المستودع انفتح، وارتعش جسدها رغمًا عنها عند سماع صوته يقترب.

كان هادئًا... هدوءًا مرعبًا.

جلس أمامها ببطء، أخذ نفسًا عميقًا ثم نطق بهدوء جعل الرعب يتسرب إلى عظامها:

"هل استوعبتِ الأمر الآن؟ أم أحتاج إلى أن أوضح لكِ أكثر؟"

حاولت التحدث، لكن صوتها خرج واهيًا: "أنا... لم أقصد..."

"كاذبة."

كان رده قاطعًا، بلا تردد.

"لو كنتِ فقط اعترفتِ بذنبكِ... لو توسلتِ من البداية... لكنتُ ربما فكرتُ في منحكِ طريقة رحيمة للموت."

اتسعت عيناها، لكنها لم تستطع الرد، لم تستطع حتى التنفس بشكل طبيعي.

انحنى نحوها، لمس وجنتها بيده الباردة، لكن لم يكن هناك أي حنان في لمسته.

"لكنكِ اخترتِ أن تجعلي الأمور أصعب، لذا... سأجعل حياتكِ أصعب."

ثم نهض ببطء، استدار نحو أحد رجاله الذي كان ينتظر عند الباب، وأمره بصوت ثابت:

"لا تدعوها ترتاح، لا تدعوها تنسى للحظة واحدة ما فعلته."

ثم نظر إليها نظرة أخيرة قبل أن يخرج:

"هذا ليس سوى البداية، سيانا."

الفصل الثامن: زواج بلا عروس

كانت القاعة مظلمة، مضاءة فقط بثريات فاخرة تلقي بظلها على الجدران الباردة. سيانا جلست على الكرسي، عيناها جاحظتان، يداها مكبلتان بالخوف قبل الحبال، وفستان الزفاف الأبيض بدا كأنه ثوب جنازة.

أما آسر، فوقف أمامها بملامح خالية من أي تعبير، كأن هذا ليس زفافًا بل صفقة، اتفاق تم إجبار كلاهما عليه.

"قلها."

صوت والده اخترق الصمت، كالسيف يقطع كل مجال للرفض. آسر لم يتردد، لم يفكر، بل قالها بنبرة باردة:

"أقبل."

ثم التفت نحوها. عيناها كانت تترجاه، تحاول البحث عن ذرة رحمة في وجهه، لكنه لم يكن هناك شيء سوى العدم.

"وأنتِ؟"

يدها كانت ترتجف وهي تمسك بفستانها. كانت تريد أن تصرخ، أن تهرب، لكن صورة والديها المرهقين، المساكين، اللذين لم يكن لهما ذنب، ملأت عقلها.

إذا قالت "لا"، فماذا سيحدث لهما؟

أغمضت عينيها، وشعرت بروحها تتحطم مع كلمتها:

"أقبل..."

—

داخل القصر...

صفعة.

ثم أخرى.

ترنح جسدها الصغير تحت الضربة، شعرت بالنار تشتعل في خدها، لكن لم يكن هناك مجال للبكاء.

"أنتِ مجرد قاتلة، لا تساوين شيئًا!"" صرخت والدة آدم، قبضتها مشدودة على شعر سيانا، تجبرها على النظر إلى الأرض.

كانت كل حركة، كل نفس تأخذه، يذكرها بأنها الآن عبدة في هذا المكان، ليس لها حق، ليس لها صوت.

آسر كان يراقب بصمت من بعيد، لم يتدخل، لم يظهر أي تعبير وهو يرى والدته تحطم ما تبقى من كرامتها.

حين انتهت من صفعها، دفعتها للخلف بازدراء.

"ستفعلين كل ما يؤمر به في هذا المنزل، وإلا..." اقتربت منها، همست في أذنها: "ستدفعين الثمن غاليًا."

—

في غرفة آسر...

فتح الباب بعنف، وأُلقي جسدها على الأرض.

لم يكن بحاجة لقول شيء، مجرد نظرة منه جعلت الخوف يتغلغل في عظامها.

"من الآن فصاعدًا، لن تغادري القصر دون إذني. لا دراسة، لا عائلة، لا شيء."

رفعت عينيها بتوسل: "أرجوك..."

أنتِ لم تفهمي بعد، أليس كذلك؟""
اقترب منها ببطء، عيناه تلمعان بشيء جعلها تتراجع للخلف.

ثم انحنى، أمسك بذقنها وأجبرها على النظر إليه.

"لقد أصبحتِ لي. وسأحطمكِ قطعة... قطعة."

—

الفصل التاسع: الجحيم المغلق

كان الصباح رمادياً، شاحباً كوجهها. لم تشعر سيانا يوماً أن الزمن يمكن أن يكون بهذه القسوة، أن تتمنى أن تتوقف عقارب الساعة أو تعود إلى الوراء... لكن الواقع لم يكن يمنحها سوى طريق واحد: الانهيار البطيء.

داخل القصر...

كانت واقفة في المطبخ، يداها ترتجفان وهي تغسل الصحون، عيناها زائغتان، وكأنها مجرد آلة تعمل بلا روح. منذ زواجها، لم تعرف سوى الإهانة، الصراخ، والضرب.

"لماذا هذه القذارة؟!"

ضُرب رأسها بالطاولة بقوة، ارتطم جبينها بحافة الرخام البارد، شعرت بألم حاد يخترقها، قبل أن تسمع صوت والدة آدم المليء بالكراهية.

"هل تعتقدين أنكِ في منزلك الفقير؟! هذا قصر آل الفيصل، وليس مأوى للقتلة!"

حاولت سيانا السيطرة على دموعها، أن لا تمنحها متعة رؤيتها ضعيفة، لكنها فشلت. لم تكن قوية كما ظنت. لم تكن سوى فتاة محطمة، معلّقة بين ماضٍ يطاردها ومستقبل أسود.

عندما انتهت من عملها، بالكاد استطاعت أن تجرّ جسدها إلى غرفتها، لكن قبل أن تصل...

"إلى أين تذهبين؟"

تجمدت، عرفت هذا الصوت جيداً. آسر.

التفتت ببطء، نظرت إليه. كان واقفًا عند نهاية الممر، ذراعاه معقودتان، عيناه الباردتان تحيطان بها كقيود خفية.

"لغرفتي..." همست بصوت ضعيف.

اقترب منها ببطء، حتى أصبح أمامها مباشرة. "لم أسمعكِ."

ازدردت ريقها، محاولة أن ترفع صوتها: "لغرفتي..."

لكن فجأة، أمسك بذقنها بقوة، رفع وجهها لينظر في عينيها. "هل تعتقدين أنني سأتركِكِ تعيشين بهدوء بعد ما فعلته؟"

شعرت بقلبها يغرق.

"أنتِ لستِ هنا لتكوني مرتاحة، بل لتدفعي الثمن."

—

في غرفة آسر...

كانت الغرفة مظلمة، كأنها تعكس حالتها النفسية. جلست على الأرض، تنظر إلى يدها المرتعشة، وعقلها يغوص في دوامة من الأفكار المتشابكة.

لماذا...؟ لماذا وافق آسر على الزواج بها إن كان يكرهها؟

رفعت عينيها نحوه، كان يجلس على الأريكة المقابلة، يدخن سيجارة ببطء، ملامحه هادئة بشكل مستفز.

"لماذا؟" خرجت الكلمة من شفتيها هامسة، لكنها حملت كل ما تشعر به من ألم وارتباك.

رفع حاجبه، "ماذا؟"

بلعت ريقها، ثم قالت بصوت أكثر وضوحًا: "لماذا تزوجتني؟"

صمت للحظات، وكأنه يستمتع بتعذيبها حتى بالكلمات، قبل أن يقول بهدوء:

"لأجعلكِ تتمنين الموت كل يوم."

ارتجف جسدها، لكنها تماسكت، عيناها حملتا سؤالاً لم تستطع قوله، لكنها لم تكن بحاجة لذلك، لأنه أكمل:

"لم يكن هذا خياري، لو كان الأمر بيدي، لكنتُ أرسلتكِ إلى الجحيم منذ الليلة الأولى."

عندما رأى نظرة الصدمة في وجهها، ابتسم بسخرية، ثم انحنى نحوها:

"لكن والدي كان له رأي آخر."

(فلاش باك: مكتب والد آسر)

كان آسر واقفًا أمام مكتبه، يده معقودة في قبضة، يحاول السيطرة على غضبه.

"تريدني أن أتزوجها؟!" قال بصوت منخفض، لكنه كان يحمل نبرة غضب خفي.

والده، الجالس خلف المكتب، لم يبدُ عليه أي انفعال. بل قال بهدوء أشد قسوة من الصراخ:

"نعم. ستتزوجها، وستجعل حياتها جحيمًا. كما سلبت منا آدم، ستدفع الثمن بكل الطرق الممكنة."

آسر شدّ على أسنانه، لم يكن يريد ذلك، كان يفضل قتلها وإنهاء الأمر. لكنه كان يعرف أن والده لا يقبل بالحلول السهلة.

"اجعلها تندم على كل نفس تأخذه، اجعلها تتمنى لو أنها ماتت معه."

—

عودة إلى الحاضر...

نظرت سيانا إليه، كانت كلمات والده تتردد في رأسها، وكانت تعرف الحقيقة الآن.

لم يكن هذا زواجًا...

كان انتقامًا.

الفصل العاشر: السجن الذهبي

كانت أيامها تمر ببطء قاتل، كأن الزمن نفسه يعاقبها. داخل هذا

القصر الفخم، الذي يفوق منزلها حجمًا وأبهة، كانت تشعر بأنها محاصرة بين جدران باردة، جدران لم تحمل لها سوى الإهانة والألم.

داخل القصر...

استيقظت سيانا على صوت طرقات عنيفة على الباب. لم تكن بحاجة لمعرفة من هو، فكل صباح يبدأ بنفس الطريقة.

"استيقظي، أيتها الحشرة!"

كان صوت والدة آدم، يحمل نفس الاحتقار المعتاد. فتحت سيانا عينيها المتعبة، ونهضت بصعوبة من

الفراش، جسدها يئن من الألم الذي لم يغادرها منذ زواجها القسري.

عندما خرجت من غرفتها، كان المشهد مألوفًا. جلست والدة آدم على الأريكة، تنظر إليها بنظرة مليئة بالكراهية. بجانبها، كانت شقيقتا آسر، كل منهما تضع ساقًا فوق الأخرى، وكأنهما تشاهدان عرضًا ترفيهيًا.

"ألم أقل لكِ أن ترتدي شيئًا يليق بمقام هذا المنزل؟ أم أنكِ تفضلين الظهور كمتسولة؟"

خفضت سيانا رأسها، لم ترد. الردود لم تكن تُجدي نفعًا هنا، بل كانت تزيد من عذابها.

قبل أن تتمكن حتى من التنفس، ألقت والدة آدم كوب القهوة نحوها. شعرت بالحرارة تحرق جلدها، لكنها لم تتحرك، لم تصرخ، لم تفعل شيئًا سوى الوقوف هناك، منتظرة الهجوم القادم.

"نحن من سمحنا لكِ بالبقاء هنا، لكن لا تظني أنكِ فرد من هذه العائلة. أنتِ هنا لتدفعي ثمن ما فعلتِه، ولن تنعمي بيوم واحد من الراحة."

كانت سيانا قد اعتادت على هذه الكلمات، لكن ذلك لم يجعل وقعها أقل ألمًا.

عندما زارت عائلتها...

بعد أسبوع من المعاناة، سُمح لوالديها بزيارتها لأول مرة. عندما رأتهما واقفين عند الباب، شعرت بدموعها تملأ عينيها، لكنها حبستها بقوة. كانا يبدوان متعبين، منهكين، وكأنهما حملا معها كل آلامها.

"سيانا، حبيبتي..." هرعت والدتها نحوها، تمسك يديها بلهفة، تبحث في وجهها عن بقايا ابنتها.

لكن قبل أن تتمكن سيانا من الحديث، جاء صوت بارد من خلفها:

"انتهت الزيارة خلال خمس دقائق."

التفتت، لتجد آسر يقف هناك، عينيه قاتمتان، نبرته لا تحمل أي مجال للنقاش.

"لكن... لم نرها منذ أيام!" قالت والدتها برجاء، لكن آسر لم يتحرك، لم يتأثر.

"أنتم محظوظون لأنني سمحت لكم بالمجيء من الأساس. الآن، إن لم تغادروا في الوقت المحدد، فستكون هذه آخر مرة ترونها فيها."

شهقت والدتها، ونظر والدها إلى الأرض بوجه متجهم. كانا عاجزين، تمامًا كما كانت هي.

احتضنت والدتها بسرعة، همست لها بكلمات لم تسمعها جيدًا، ثم تراجعت. كان عليها أن تتعلم أن الفراق يمكن أن يكون مؤلمًا حتى عندما لا يكون نهائيًا.

عندما خرجا، شعرت سيانا وكأن روحها خرجت معهما. كانت ترغب في اللحاق بهما، أن تهرب، أن تصرخ... لكنها لم تستطع.

كان هذا منزلها الآن، والسجن الذي لن تتمكن من مغادرته.

الفصل الحادي عشر: قيود غير مرئية

مرّت الأيام، لكن شيئًا لم يتغير. كل صباح، كانت تستيقظ على صراخ والدة آدم، كل وجبة كانت فرصة جديدة للإهانة، وكل لقاء مع آسر كان جرحًا إضافيًا يضاف إلى قائمة معاناتها.

القيود التي لا تُرى...

كانت تقف في المطبخ، تغسل الصحون كما أمرتها والدة آدم. لم تكن قد اعتادت على الأعمال المنزلية الشاقة، لكنها لم تملك خيارًا. أصابعها تؤلمها من الماء البارد، وجروحها القديمة لم تُشفَ بعد، لكن أحدًا لم يهتم.

"أسرعي، نحن لا نملك كل اليوم!"

شهقت حينما شعرت بيد تدفعها بقوة من الخلف، فسقط الطبق الزجاجي من يدها وتحطم على الأرض. وقفت جامدة، تحدّق في القطع المتناثرة عند قدميها، ويدها ترتجف.

"أنتِ عديمة الفائدة!" صاحت والدة آدم بغضب، قبل أن ترفع يدها وتهوي بها على خدها بقوة. شعرت سيانا بالنار تشتعل في وجهها، لكنها لم تبكِ، لم تصرخ.

بلعت جرحها بصمت، كما اعتادت أن تفعل دائمًا.

في الليل...

جلست على طرف السرير، تحدق في الفراغ. لقد باتت تكره النوم، لأن النوم يعني الاستيقاظ في اليوم التالي لتعيش الجحيم من جديد.

باب الغرفة فُتح بعنف، ودخل آسر. كان وجهه متجهمًا، عينيه تشتعلان بالغضب كالعادة.

"هل تظنين أنني لم أركِ اليوم وأنتِ تتذمرين أمام الخادمة؟"

رفعت رأسها ببطء، لم تفهم ما يقصده. لم تتحدث إلى أحد، لم تتذمر... لكنها لم تحصل على فرصة للشرح.

أمسك بذراعها بقوة، رفعها من مكانها كما لو كانت دمية، ثم دفعها للخلف. سقطت على الفراش، جسدها يرتعش من الألم، لكن أكثر ما أرعبها هو تعابيره القاسية.

"لا تحاولي أبدًا أن تلعبي دور الضحية أمام أحد، أفهمتِ؟!"

"أنا... لم أفعل شيئًا." همست بصوت مبحوح، لكنها ندمت فورًا على ردها.

ضاقت عيناه، وانحنى نحوها، يمسك فكها بقبضة قوية.

"يبدو أنكِ نسيتِ مكانتكِ هنا. أنتِ لستِ أكثر من وسيلة لإرضاء غضبي... أنتِ لا شيء."

كلماته كانت أكثر قسوة من الضرب، أكثر إيلامًا من أي جرح. لكن ما كان يحطمها حقًا... هو أنها بدأت تصدقه.

زيارة غير متوقعة...

في اليوم التالي، وأثناء تناول العائلة الغداء، جاء اتصال هاتفي مفاجئ.

"أسر، هناك من يريد مقابلتك عند الباب."

رفع حاجبه ببرود، قبل أن يتوجه إلى الخارج. عندما فتح الباب، وجد أمامه رجلاً لم يكن يتوقع رؤيته.

"...أنتَ"

"مرحبًا، مضت فترة طويلة، أليس كذلك؟" قال الرجل بابتسامة غامضة.

كانت تلك اللحظة التي بدأ فيها شيء جديد، شيء سيقلب الموازين بطريقة لم يتوقعها أحد.

الفصل الثاني عشر: زيارة غير متوقعة

وقف آسر عند الباب، يحدق في الرجل الواقف أمامه. كان طويل

القامة، مظهره أنيق لكن عينيه تحملان خبثًا مألوفًا. لم يكن من النوع الذي يزور الآخرين دون سبب.

"لم أتوقع رؤيتك هنا." قال آسر ببرود، لكنه لم يبتعد عن الباب ليسمح له بالدخول.

الرجل ابتسم ابتسامة جانبية، ثم نظر إلى الداخل وكأنه يحاول رؤية من في المنزل. "لماذا كل هذا التوتر؟ هل أخفيت شيئًا عني؟"

آسر زفر بضيق، ثم أشار له بالدخول. "قل ما لديك واخرج."

دخل الرجل، وقبل أن يجلس، ألقى نظرة خاطفة على المكان. "بيتكم لم

يتغير كثيرًا، لكن أعتقد أن الأجواء داخله أصبحت أكثر قتامة." قالها بنبرة ساخرة، ثم أضاف: "سمعت عن زواجك المفاجئ... وعن وفاة آدم."

شدّ آسر قبضته عند ذكر شقيقه الراحل، لكنه ضبط نفسه. "ما الذي تريده؟"

اقترب الرجل ببطء، ثم همس: "الحقيقة فقط. سمعتُ شائعات كثيرة... لكني أريد أن أعرف القصة منك مباشرة."

آسر لم يردّ، لكنه شعر بأن هذا الرجل قد يكون مشكلة قادمة.

في الداخل...

كانت سيانا تجلس في غرفتها، تحاول أن تلهي نفسها بأي شيء بعيدًا عن أفكارها السوداء. الألم في جسدها لم يكن شيئًا مقارنة بالحالة النفسية التي وصلت إليها.

لكن صوت الطرق على الباب جعل قلبها يقفز. هل هو آسر؟ أم والدته؟ هل أخطأت في شيء دون أن تدري؟

فتحت الباب ببطء، لكن الصدمة كانت فيمن وقف أمامها.

"سيانا؟"

تجمدت في مكانها، عيناها اتسعتا. لم تتوقع رؤيته هنا... لم تتوقع أنه ما زال يتذكرها.

"ماذا تفعل هنا؟" همست بخوف، وهي تنظر إلى الممر لتتأكد أن لا أحد قد لاحظ وجوده.

"أردت رؤيتك... سمعت عن زواجك، لكنني لم أصدق أنكِ وافقتِ عليه."

شعرت بغصة في حلقها، وكأنها اختنقت بمجرد سماع كلماته. "لم يكن لدي خيار."

نظر إليها لثانية طويلة، وكأن شيئًا بداخله تحطم، ثم قال بهدوء: "إذن... هل تحتاجين إلى المساعدة؟"

سيانا لم تجب، لكنها شعرت لأول مرة منذ فترة طويلة... أن هناك بصيص أمل صغير قد يكون بانتظارها.

الفصل الثالث عشر: وهم النجاة

كانت الغيوم الكثيفة تحجب ضوء الشمس، وكأن السماء تعكس تمامًا المشاعر الثقيلة التي تخيم على القصر. الجو كئيب، صامت، لكنه يحمل توترًا خفيًا يزحف في الأرجاء.

داخل القصر...

سيانا كانت تجلس على الأرض في زاوية غرفتها، ضامة قدميها إلى صدرها، تحاول أن تجد لنفسها ملاذًا داخل العتمة التي تغرق فيها يومًا بعد يوم. آثار الضرب كانت واضحة على معصمها، وعلى كتفها كدمة زرقاء بارزة. لم يعد جسدها يتفاعل مع الألم كما كان في البداية، أصبح الألم شيئًا مألوفًا... كجزء منها.

الباب انفتح بعنف، ليظهر آسر واقفًا أمامها، عيناه متقدتان بالغضب، وكأنه كان يبحث عن شيء ليصبّ عليه إحباطه.

"أخبريني، من كان هنا؟" صوته كان منخفضًا لكنه يحمل تهديدًا خطيرًا.

سيانا رفعت رأسها ببطء، نظرتها خاوية، لكنها لم تقل شيئًا.

آسر تقدم خطوة، أمسك ذراعها بقسوة، مما جعلها تتأوه بصوت مكتوم. "لا تجبريني على تكرار سؤالي، سيانا."

أغمضت عينيها للحظة، محاولة أن تبقي صوتها ثابتًا. "لا أحد."

قبضته اشتدت أكثر، حتى شعرت بأن عظامها ستتكسر. "كاذبة."

دفعت يدها عنه بقوة، والغضب بدأ يتسلل إلى ملامحها رغم ضعفها. "ولماذا يهمك؟ هل تخشى أن يعرف أحد ما فعلته بي؟"

آسر لم يرد، لكن الغضب في عينيه كان واضحًا. للحظة، شعر أنها لم تعد تلك الفتاة الضعيفة التي كان يكسرها بسهولة، هناك شيء تغيّر فيها، وكأنها لم تعد تخشى شيئًا بعد الآن.

لكنه لن يسمح لها بالتمرد.

"أنتِ هنا لأنكِ تستحقين ذلك، لا تنسي هذا أبدًا." قال بصوت بارد، ثم تركها وسار خارجًا، مغلقًا الباب خلفه بعنف.

في مكان آخر...

وقف الرجل الذي زار القصر بالأمس في سيارته، يراقب من بعيد، أفكاره متشابكة. سيانا لم تبدُ بخير، ولم يكن هذا الزواج طبيعيًا. هناك شيء مريب يحدث، وكان عليه أن يعرف الحقيقة.

أخرج هاتفه، ثم كتب رسالة قصيرة:

"أحتاج إلى لقائك، هناك شيء خاطئ... وأعتقد أن سيانا في خطر."

ضغط على الإرسال، وهو يعلم أن هذه الرسالة قد تغيّر كل شيء.

الفصل الرابع عشر: بداية الانكسار

لم يكن صباحًا مشرقًا، ولا حتى صباحًا عاديًا. الجو داخل القصر كان ثقيلًا، مشبعًا بالتوتر الذي أصبح جزءًا من يومياته. سيانا جلست على طرف سريرها، تنظر إلى يديها المرتجفتين، تشعر بأنها سقطت في حفرة بلا قاع. لم يكن هناك مفر، لم يكن هناك خلاص.

في المطبخ...

كانت والدة آدم واقفة أمام الطاولة، تراقب الخادمة التي كانت تحضّر الفطور. بمجرد أن دخلت سيانا، رفعت المرأة رأسها ببطء، نظرتها مليئة بالاشمئزاز والكره.

"أخيرًا استيقظتِ، كنت أظنكِ ستمضين اليوم بأكمله نائمة كالمتطفلين الذين لا عمل لهم." قالت بصوت بارد.

سيانا لم ترد، فقط توجهت إلى زاوية الطاولة، محاولة أن تبقى بعيدة عن المشاكل. لكنها لم تكن محظوظة هذا الصباح.

"ألم أطلب منكِ تحضير الفطور بنفسك؟ أم أنكِ تظنين نفسكِ أميرة هنا؟"

سيانا أغمضت عينيها للحظة، ثم تقدمت ببطء، بدأت تأخذ الأطباق وتحملها إلى الطاولة، محاولة تجنب الاحتكاك.

لكن والدة آدم لم تكن تريد تجنب الاحتكاك.

فجأة، أمسكت المرأة بذراع سيانا بقوة، دفعتها لتستدير وتواجهها مباشرة. "انظري إليّ عندما أتحدث إليكِ."

رفعت سيانا نظرها ببطء، لكن قبل أن تنبس بكلمة، شعرت بصفعة قوية تخترق خدها، جعلت رأسها يلتف للجانب. الألم لم يكن جسديًا فقط، بل كان إهانة جديدة تضاف إلى قائمة طويلة.

"لن تتصرفي وكأنكِ واحدة منا، مهما حدث. تذكّري هذا جيدًا."

أرادت سيانا أن تصرخ، أن تدافع عن نفسها، لكنها تعلمت أن المقاومة لا تجلب سوى المزيد من الألم.

في غرفة آسر...

كان يجلس على الأريكة، يمسك هاتفه بين يديه، يقرأ رسالة وصلت إليه منذ

الصباح الباكر. كانت رسالة غامضة، لكنها حملت معنى واضحًا:

"هل حقًا تعتقد أن ما تفعله هو انتقام؟ أم أنك فقط تحاول أن تملأ الفراغ الذي تركه آدم بطريقتك المريضة؟"

ضغط على الهاتف بقوة، شعر بالغضب يتصاعد داخله. من يجرؤ على إرسال شيء كهذا؟ ومن يعتقد أن بإمكانه التشكيك فيما يفعله؟

نهض بسرعة، خرج من الغرفة بخطوات غاضبة. كان بحاجة إلى التنفيس عن هذا الغضب، وكان يعرف تمامًا أين سيفعل ذلك.

...في المطبخ

وصل آسر في اللحظة التي كانت فيها والدته تهمّ بصفع سيانا مرة أخرى، لكنه أمسك بمعصمها قبل أن تفعل.

"هذا يكفي." قال بصوت حاد.

والدته نظرت إليه بدهشة، لكنها سحبت يدها بعد لحظة. "هذه الفتاة بحاجة إلى دروس في الاحترام."

"وأنا سأعلّمها." قال ببرود، ثم أمسك بمعصم سيانا وسحبها خلفه دون أن يضيف شيئًا آخر.

داخل غرفته...

ألقى بها إلى الداخل، وأغلق الباب خلفه بعنف. نظر إليها للحظات، ثم قال بصوت منخفض لكنه مليء بالتهديد:

"لا تعتقدي أنني دافعت عنكِ. أنا فقط لا أريد أن يلمسكِ أحد غيري."

سيانا شعرت بقشعريرة تسري في جسدها. لم تكن تعرف أيهما أسوأ... والدته أم هو.

لكنه لم يعطها وقتًا للتفكير، لأنه اقترب أكثر، نظر إليها بعمق، وكأنه يبحث عن شيء داخل عينيها.

ثم همس ببطء:

"أخبريني... هل بدأتِ تندمين على البقاء على قيد الحياة؟"

الفصل الخامس عشر

كانت الليلة هادئة خارج القصر، لكن داخل جدرانه، لم يكن هناك سوى الفوضى... والصراخ.

سيانا كانت جاثية على الأرض، يدها ترتجف وهي تحاول أن تتكئ عليها، لكن الألم الحاد جعلها تأنّ بصوت مكبوت. جسدها كان يئن من الضربات

التي انهالت عليها قبل لحظات، لكنها لم تملك القوة للصراخ أكثر. الألم في كتفها كان لا يُحتمل... لقد ركلها آسر بعنف حتى شعرت وكأن عظامها قد تكسرت.

وقف أمامها، عيناه الداكنتان متوهجتان بالغضب. لم يكن هناك أي شفقة فيهما، لم يكن هناك سوى قسوة باردة.

"ألم أخبركِ ألا ترفعي صوتكِ عليّ؟!" صوته كان منخفضًا، لكن يحمل تهديدًا قاتلًا.

سيانا لم تجبه، لم يكن لديها حتى القوة للرد، فاقترب منها فجأة، جاثيًا

على إحدى ركبتيه وهو يمسك بذقنها بقسوة، يجبرها على النظر إليه.

"يبدو أنكِ ما زلتِ لا تفهمين، أليس كذلك؟" همس بصوت خطير، قبل أن يشدّ على فكها بقوة كأنما يحاول كسره.

دموعها انهمرت رغمًا عنها، لكنها لم تكن دموع استسلام... بل كانت دموع قهر.

"أرجوك... توقف..." همست بصوت مهتز، لكن بدلًا من أن يُبدي أي تعاطف، ضحك... ضحكة باردة، خالية من أي مشاعر.

ثم نهض واقفًا، واستدار مبتعدًا، وكأنه قرر أن يتركها أخيرًا... لكن فجأة، وقبل أن تتمكن حتى من فهم ما يحدث، استدار بسرعة، وركل ساقها بقوة جعلت صرختها تمزق سكون الليل.

سقطت على الأرض مجددًا، تمسك بساقها التي اشتعلت بالألم، بينما هو وقف فوقها، يراقبها ببرود.

"تعلمي شيئًا، سيانا..." قال بصوت هادئ لكنه مشحون بالغضب، "أنا لا أتعامل بلُطف مع من قتل أخي... وأنتِ ستدفعين الثمن حتى آخر لحظة في حياتكِ."

ثم استدار مغادرًا، تاركًا إيّاها تتلوّى من الألم، غير قادرة حتى على التقاط أنفاسها بشكل طبيعي.

كانت تعلم أنه لن يتوقف هنا... وهذا ما كان يخيفها أكثر من أي شيء آخر.

الفصل السادس عشر

لم تكن سيانا تتذكر كيف وصلت إلى غرفتها، ولا كيف استلقت على السرير، لكنها كانت تشعر بكل ذرة ألم في جسدها. كل نفس تأخذه كان كطعنة جديدة، وكل حركة بسيطة

كانت تزيد من حدة الأوجاع التي غطت جسدها بالكامل.

بجانبها، ظلت الخادمة المسنة، مريم، تراقبها بعينين مشحونتين بالقلق، تمسح العرق البارد عن جبينها بمنشفة مبللة، وهمست بصوت خافت:

"يا إلهي... يا ابنتي، ماذا فعل بكِ؟"

لكن سيانا لم تستطع الإجابة، فقط أغمضت عينيها للحظة، محاولة أن تتناسى الوجع الذي يمزقها من الداخل والخارج.

في الطابق السفلي، كان آسر يجلس في مكتبه، أصابعه تضرب سطح الطاولة الخشبية بإيقاع رتيب، بينما يحدق في الفراغ أمامه.

ما الذي حدث له؟

لماذا لم يستطع التوقف؟ لماذا شعر برغبة لا يمكن كبحها في إيذائها أكثر؟

الجواب كان واضحًا... لم يكن مجرد غضب بسبب مقتل آدم، كان الأمر أكبر من ذلك. كان هناك شيء آخر، شيء يشتعل بداخله منذ سنوات... شيء لم ينجح في إخماده أبدًا.

وفجأة، قُطع تفكيره حين اقتحم والده الغرفة، عينيه تشتعلان بالغضب.

"آسر، إلى متى ستلعب بهذه الطفلة؟!" صوته كان غاضبًا، لكن يحمل نبرة تهديد واضحة.

رفع آسر نظره ببطء، دون أن يُظهر أي تأثر، وقال ببرود:

"ألعب؟ أنت من طلب مني أن أجعلها تدفع الثمن."

"أردتُك أن تُذلها، أن تجعل حياتها جحيمًا، لكن ليس أن تحطمها بالكامل! نحن بحاجة إليها حية، لا جثة هامدة!"

ابتسامة ساخرة شُكلت على شفتي آسر، ثم نهض واقفًا، متجهًا نحو النافذة، ناظرًا إلى الظلام الذي يلفّ الحديقة الخارجية.

"هي ما زالت حية، لكنها تتمنى الموت، وهذا أفضل."

بعد يومين...

كانت سيانا تجلس في الحديقة الخلفية للقصر، ساقها المصابة ممددة أمامها، تحاول أن تتجاهل الألم

الذي لا يفارقها. لم يُسمح لها بمغادرة القصر منذ أن تم إجبارها على الزواج من آسر، لكنها كانت تحاول إيجاد لحظة سلام وسط هذا الجحيم.

لكن سلامها لم يدم طويلًا.

"ما زلتِ على قيد الحياة، هاه؟"

شهقت وهي تسمع الصوت الذي باتت تعرفه جيدًا، التفتت ببطء، لتجد والدة آدم تقف خلفها، تنظر إليها بنظرة كريهة ممتلئة بالاحتقار.

"يبدو أن آسر لم يؤدبكِ بالشكل الكافي بعد."

سيانا شعرت بقلبها يهبط في صدرها، لكنها لم تجب.

اقتربت المرأة أكثر، قبل أن تمد يدها فجأة وتشدها من شعرها بقسوة، جعلت رأسها يرتدّ إلى الخلف، فصرخت بألم.

"كيف تجرئين على التواجد هنا، أيتها القاتلة؟!" صاحت بغضب، ودفعتها بقوة، جعلتها تسقط على العشب.

قبل أن تتمكن حتى من استيعاب ما يحدث، رفعت المرأة قدمها وركلتها في بطنها بقوة جعلتها تتكور على نفسها، أنينها يخنق صوتها.

"آسر لن يكون الوحيد الذي سيعاقبكِ،
أنا أيضًا سأجعل حياتكِ جحيمًا!"

ثم استدارت وغادرت، تاركة إيّاها
تتلوى من الألم، جسدها يرتجف،
وعقلها يصرخ بسؤال واحد:

إلى متى سيستمر هذا العذاب؟

الفصل السابع عشر

الظلام كان صديقها الوحيد في هذا
القصر. كانت سيانا تجلس في زاوية
غرفتها، يديها تعانقان ساقيها
الممددتين أمامها، ودموعها تجف

على وجنتيها. لم تعد تبكي بصوت مسموع، لقد تعلمت أن البكاء بصمت هو الخيار الوحيد المتاح لها.

على جسدها، كدمات لم تتعافَ بعد، وأوجاع تسكن عظامها، لكن الألم الجسدي لم يكن شيئًا مقارنة بالتحطيم النفسي الذي تعانيه. كانت محاصرة، لا طريق للهروب، ولا أمل في النجاة.

في الطابق السفلي، جلس آسر في مكتبه، عينيه تائهتان في كأس الويسكي الذي يديره بين أصابعه. رغم كل شيء، لم يستطع أن ينكر أن

شيئًا ما بداخله كان في حالة فوضى. لماذا لم يشعر بالراحة بعد؟ لماذا لم يكن انتقامه كافيًا بعد كل ما فعله؟

طرق على الباب قاطعًا أفكاره، ثم دخل والده، نظراته باردة كعادته.

"آسر، عليك أن تتخذ قرارًا بشأن الفتاة."

رفع آسر حاجبه ببطء، واضعًا الكأس على الطاولة. "أي قرار؟"

"لقد عذبتها بما يكفي، لكن إن استمر هذا الوضع، سنصبح حديث المدينة. الناس بدأوا يتساءلون عن اختفائها المفاجئ عن الجامعة، وعن سبب

زواجك بها بهذه الطريقة الغامضة. نحن بحاجة إلى إنهاء هذه الفوضى."

كان في صوت والده نبرة حاسمة، لكن آسر لم يكن مستعدًا لإنهاء شيء. لم يكن قد أشبع رغبته بعد، لم يكن قد انتقم بما يكفي.

"سيبقى الوضع كما هو عليه، إلى أن أقرر أنا غير ذلك." قال ببرود، لكن والده لم يكن راضيًا عن إجابته.

"لا تكن أحمق، آسر. إما أن تجد مخرجًا لهذا الوضع، أو أنا سأجد واحدًا بنفسي، ولن يعجبك ذلك."

وبعد أن ألقى كلماته الأخيرة، استدار وخرج، تاركًا آسر غارقًا في أفكاره.

في اليوم التالي...

كان القصر يعج بالخدم، والأجواء أكثر صخبًا من المعتاد. دخلت مريم غرفة سيانا على عجل، وجهها متوتر وهي تهمس:

"سيانا، ارتدي شيئًا أنيقًا. هناك حفلة ستقام الليلة، وآسر يريدكِ أن تكوني هناك."

ارتجفت يدا سيانا وهي تنظر إلى الخادمة بصدمة. "حفلة؟ لماذا؟"

"لا أعلم، لكن لا يمكنك الرفض."

عقلها بدأ يصرخ بألف احتمال، لكنها لم تملك رفاهية المقاومة.

في تلك الليلة...

القاعة الرئيسية للقصر كانت مضاءة بالثريات الكريستالية، والضيوف من رجال الأعمال والشخصيات الراقية يتبادلون الحديث والضحكات، غير مدركين للجحيم الذي تعيشه سيانا.

كانت تقف بجانب آسر، ترتدي فستانًا أسودًا أنيقًا، لكنه لم ينجح في إخفاء شحوب وجهها أو الهالات تحت عينيها.

أمسك آسر بكأس شرابه، ثم التفت نحوها بابتسامة باردة. "تصرفي وكأنكِ زوجتي السعيدة، وإلا..."

لم يكمل جملته، لكن التهديد كان واضحًا في عينيه.

أجبرت نفسها على رسم ابتسامة باهتة، بينما داخلها ينهار أكثر فأكثر.

كانت هذه ليلة أخرى من العذاب... لكن، هل ستنتهي يومًا؟

الفصل الثامن عشر

الليل كان باردًا، لكن البرودة الحقيقية لم تكن في الطقس... بل في قلبه.

وقف آسر أمام النافذة في جناحه الفخم، السيجار يتوهج بين أصابعه، ونظراته مسمرة على انعكاسه في الزجاج. ما رآه لم يكن رجلاً عاديًا، بل وحشًا جائعًا للدمار. لم يكن يحتاج إلى سبب ليحطم الآخرين، كان فقط... يستمتع بذلك.

في الطابق السفلي، كانت سيانا تحاول أن تهرب إلى أي ركن في هذا القصر الكبير، لكن مهما حاولت، لم يكن هناك مكان يقيها من عاصفة آسر.

لكن هذه الليلة... كان غاضبًا أكثر من المعتاد.

دخل آسر غرفتها دون استئذان، الباب ارتطم بالجدار بقوة جعلتها تنتفض. نظراته كانت مشتعلة، جسده مشدود كأنه على وشك الانفجار.

"ما هذا الهراء الذي سمعته اليوم؟!" صوته كان كالخنجر، قاطعًا الهواء بينهما.

سيانا ارتجفت، لكنها لم تفهم. "ماذا؟"

تقدم بخطوات ثقيلة، وعيناه تضيّقان بخطورة. "سمعت أنكِ حاولتِ الحديث مع أحدهم عني... عن زواجنا."

شهقت، قلبها سقط في قاع معدتها. لم يكن من المفترض أن يعرف.

"آسر، لم أقصد شيئًا، كنتُ فقط—"

لكن صفعة قوية جعلت رأسها يرتد إلى الجانب، ألم حارق انفجر في خدها. لم يترك لها مجالًا للتفكير قبل أن يمسك بذراعها، يسحبها بقوة حتى كادت تسقط.

"هل تظنين أنكِ أذكى مني؟ هل تظنين أنه يمكنكِ خداعي؟!"

كانت أنفاسه تلهب وجهها، قبضته على معصمها كانت أقوى من أن تفلتها. نظرت إليه، رأته كما لم تره من قبل... كان شيطانًا، رجلًا لا يملك ذرة إنسانية.

"آسر... أرجوك..." همست، محاولة أن تستعيد أنفاسها، لكن توسلاتها لم تجد صدى لديه.

دفعها بقوة، ارتطم جسدها بحافة الطاولة وسقطت على الأرض، شهقة ألم هربت من شفتيها، لكن آسر لم يتوقف.

ركع أمامها، أمسك بذقنها بعنف، أجبرها على النظر إليه، وصوته كان أشبه بوحش يهمس في أذنها:

"أنتِ ملكي، تفهمين؟ لا تحاولِ الاقتراب من أحد، لا تحاولِ حتى التفكير في الهروب. إن حاولتِ مرة أخرى... لن أكسر فقط يدكِ، بل سأحطمكِ بالكامل."

عينيه كانتا سوداوين، باردتين، لا تحملان سوى الظلام.

ثم، كما لو أن الأمر لا يعنيه، نهض ببطء، نفض يده كأنها تلطخت بشيء قذر، ثم خرج من الغرفة، تاركًا إياها غارقة في الألم والخوف... والدموع التي لم تعد تعرف كيف تتوقف.

في تلك الليلة، أدركت سيانا شيئًا واحدًا...

آسر لن يتركها إلا مكسورة بالكامل.

الفصل التاسع عشر

كانت يداها ترتجفان وهي تحاول رفع رأسها عن الوسادة، لكن الألم كان أقوى من أن تتجاهله. كل شبر من جسدها كان يصرخ بأثر العنف الذي تعرضت له الليلة الماضية. حتى أنفاسها بدت ثقيلة، وكأنها تستنشق الرماد بدل الهواء.

حاولت أن تحرك أصابع يدها التي التوت بشدة عند سقوطها، لكنها شعرت بوخز حاد جعل الدموع تتجمع في عينيها. لم تكن متأكدة إن كان

كسرها، لكنها عرفت أن الأمر ليس بسيطًا.

"هل هذا ما سيبقى عليه الأمر؟ هل سأعيش بقية حياتي كدمية بين يديه، يحطمها متى شاء؟"

كانت تعرف أن الإجابة هي نعم، على الأقل في الوقت الحالي.

في الأسفل، كانت مائدة الإفطار مليئة بأشهى الأطعمة، لكن الجو كان مشحونًا بالصمت. آسر جلس على رأس الطاولة، يقلب صفحات إحدى

الصحف دون أن يبدو عليه أي اهتمام بالعالم من حوله.

أما والدة آدم، فكانت ترتشف قهوتها بنظرة ممتلئة بالكراهية وهي تراقب سيانا التي اقتربت بخطوات مترددة، جسدها متصلب من الألم.

"تأخرتِ،" علقت المرأة ببرود، ولم تكلف نفسها عناء إخفاء ازدرائها.

لم تجب سيانا، بل سحبت كرسيها بهدوء وجلست. لم يكن لديها طاقة للمجادلة، ولم يكن لديها شهية للطعام.

لكن آسر لم يكن ليسمح لها بالهدوء.

"ألم أخبركِ أنني أكره المرأة التي تخالف أوامري؟" قال بصوت هادئ، لكن في داخله عاصفة تهدد بالانفجار.

سيانا شدّت أصابعها فوق فخذها، تحاول ألا تظهر ارتجافها. "أنا هنا الآن..."

ضحك بسخرية، ألقى الصحيفة جانبًا وحدق بها بعينين باردتين. "بلى، لكنكِ تبدين بائسة. هل تظنين أنني سأشفق عليكِ؟"

لم ترد. لم يكن هناك داعٍ لذلك.

لكن والدة آدم قررت أن تزيد الطين بلة. "على الأقل تعلمي كيف

تتصرفين كزوجة محترمة، لا كفأرة مذعورة."

غرست تلك الكلمات في قلب سيانا كخنجر، لكنها لم تكن قادرة على الدفاع عن نفسها.

آسر مال للأمام، ارتكز بمرفقيه على الطاولة وحدق بها طويلًا، ثم قال بابتسامة شريرة: "لدي حل لهذا،" صوته كان مخيفًا، كأنه وجد لعبة جديدة ليمارس فيها ساديته.

"اليوم، ستذهبين معي إلى الحفلة التي يقيمها شركائي."

سيانا رفعت عينيها بصدمة. "ماذا؟"

"سمعتِ جيدًا،" قال ببرود، ثم نظر إلى يدها المتورمة وأضاف بتهكم: "حاولي ألا تثيري الشفقة وأنتِ بجانبي، لا أريد أن يعتقد أحد أنني رجل عنيف."

ضحكة مريرة كادت تفلت من شفتيها، لكنها حبستها في آخر لحظة.

هو لم يكن رجلاً عنيفًا فقط...

كان وحشًا يرتدي قناع البشر.

الفصل العشرون – سقوط نحو الهاوية

كانت الليلة باردة، لكن البرودة لم تكن مما يشعر به جسدها. بل كانت صادرة من المكان، من الجو المشحون بالكراهية، ومن الرجل الذي كان يقف أمامها كأن شيطانًا تجسد في هيئة بشرية.

سيانا لم تعد قادرة على التفكير، لم تعد قادرة على استيعاب ما يحدث. كل ما عرفته أن آسر كان في أسوأ حالاته هذه الليلة، وأن نظراته كانت تشتعل بنيران لا ترحم.

"هل تظنين أنني غبي؟"

كان صوته مثل الزئبق، باردًا، زلقًا، لكن في داخله حمم تشتعل.

"أنتِ تعتقدين أنكِ قادرة على تجاهلي، على تحدي سلطتي؟"

هزّت رأسها بقوة، الدموع في عينيها كانت تحجب الرؤية، لكن يده كانت أسرع من كلماتها.

صفعة قوية جعلتها ترتطم بالحائط، الهواء خرج من رئتيها كأنها تلقت ضربة قاتلة.

"أنا من أقرر كيف تعيشين، كيف تتنفسين، كيف تفكرين!"

اقترب منها، عيناه مظلمتان كأنهما بوابتان للجحيم، وأمسك بذقنها بقسوة، يجبرها على النظر إليه رغمًا عنها.

"وأنا من أقرر متى تعانين."

كانت تعلم أن الأمور ستصل إلى هذا الحد يومًا ما، لكنها لم تكن مستعدة لذلك. لم تكن مستعدة أبدًا.

عندما فتحت عينيها، لم يكن هناك سوى اللون الأبيض.

كانت تشعر بأنها محاصرة داخل جسدها، وكأنها محشورة في عالم بين الوعي واللاوعي.

"لقد استيقظت!"

كان صوت والدتها، مكسورًا، باكيًا، مليئًا بالخوف والضعف.

حاولت أن ترد، لكن حلقها كان جافًا، وعظامها تؤلمها كأنها مكسورة.

ثم تذكرت.

تذكرت كل شيء.

كيف تحطمت تلك الليلة، كيف مزّقها عنف آسر، كيف فقدت السيطرة على جسدها، كيف انتهى بها الحال غارقة في الظلام، غير قادرة على الفرار من جحيمه.

"لقد كنتِ في غيبوبة لمدة أسبوعين، حبيبتي..."

الكلمات ضربتها كأنها صاعقة. أسبوعان؟

حاولت أن تحرك يدها، لكنها شعرت بوخز في معصمها. نظرت إلى الأسلاك التي كانت متصلة بها، إلى الأجهزة التي تراقب نبضها.

لكن أكثر شيء صدمني كان وجه الطبيب وهو ينظر إليها بحذر.

"هناك شيء آخر عليكِ معرفته..."

شهقت والدتها، وقبضت على يدها بقوة كأنها تريد أن تحميها من الكلمات القادمة.

"أنتِ حامل."

ساد الصمت، كأن العالم كله توقف عن الدوران.

حامل؟

من آسر؟

شعرت بقلبها يتوقف، وعقلها ينهار.

لم يكن هناك مفر. لم يكن هناك خلاص.

لقد سقطت أعمق داخل الهاوية.

.....

الفصل الحادي والعشرون – قيود لا تنكسر

كانت الغرفة هادئة إلى حد خانق، لا يُسمع فيها سوى صوت الأجهزة الطبية ونبضات قلبها المتسارعة. التفتت سيانا ببطء إلى والدتها التي ما زالت تمسك يدها بقوة، بينما الطبيب ينتظر رد فعلها. لكن ماذا يمكن أن تقول؟ كيف تستوعب أنها أصبحت تحمل جزءًا منه داخلها؟

"لا... هذا غير ممكن." كانت الكلمات بالكاد تخرج من فمها المرتجف.

تبادل الطبيب ووالدتها نظرات قلقة، لكن الطبيب تحدث بهدوء:

"أؤكد لكِ أن الفحوصات صحيحة. لقد كنتِ في الأسبوع الرابع عند وصولك إلى المستشفى، والآن أنتِ في الأسبوع السادس."

ساد الصمت، كأن الزمن توقف حولها، لكنها شعرت برأسها يدور، والغرفة تضيق عليها. لم تستطع التنفس. لم تستطع التفكير. كل شيء داخلها كان يصرخ بالرفض، لكنها كانت عاجزة عن الهروب.

أخفضت والدتها رأسها، وكأنها تحاول احتواء الدموع التي كانت تهدد بالانفجار. "سيانا... صغيرتي، نحن هنا معكِ، سنجد طريقة، فقط أخبريني بما تريدينه."

لكنها لم تكن تعرف ما تريده.

كانت تريد أن تختفي.

أن يعود الزمن إلى الوراء.

أن لا تكون عالقة في هذا الكابوس.

في القصر، كانت الأجواء مختلفة تمامًا.

آسر كان يقف في مكتبه، يحدّق عبر النافذة بملامح باردة، لكن داخله كان يغلي. لقد أبعدها عن حياته

لأسبوعين، تاركًا إياها تتجرع آلامها وحدها، لكنه لم يتوقع أن تتأخر لهذه الدرجة.

حتى جاءه الخبر من والده.

"أنتَ ستكون أبًا، آسر."

لم يشعر بشيء. لا سعادة، لا دهشة، فقط برود قاتل تسلل إلى أطرافه. والده كان يتحدث بنبرة انتصار، وكأنه يرى في ذلك فرصة جديدة للسيطرة، لكنه لم يهتم.

حامل؟ تلك الحمقاء حملت بطفله؟

ضغط أصابعه بقوة على سطح المكتب، عيناه تشتعلان بعاصفة خطيرة. هذا يغير كل شيء.

عندما فُتح باب المستشفى بعد يومين، وعندما دخل هو بخطواته الهادئة، كانت سيانا جالسة على سريرها، شاحبة وضعيفة، لكن عينيها اشتعلتا بالخوف فور أن رأته.

وقف عند طرف السرير، يحدّق بها طويلًا قبل أن يقول بهدوء:

"لقد انتهى وقت الشفقة، سيانا. ستعودين إلى المنزل، ولن تحاولي الهروب مجددًا."

ارتجفت شفتاها، لكن لم يخرج صوتها، وكأن حلقها أغلق تمامًا.

اقترب أكثر، نبرته تنخفض، لكن خطورتها تتضاعف:

"أنتِ تحملين طفلي الآن. هذا يعني أنكِ لي، إلى الأبد."

مد يده إلى ذراعها، لكنها انتفضت بعيدًا، جسدها يتشنج من الرعب. ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتيه، لكن عينيه كانتا خاليتين من أي رحمة.

"لا تلعبي معي، سيانا. أنتِ تعرفين جيدًا أنني لا أُحب الخسارة."

ومثل قيود غير مرئية، شعرت بأن مصيرها قد سُجن تمامًا في قبضته.

الفصل الثاني والعشرون – زنزانة بلا أبواب

كان القصر صامتًا عندما عادت إليه، لكنه لم يكن صمتًا مريحًا. كان صمتًا مليئًا بالخطر، كأن الجدران نفسها تراقبها، تتوقع انهيارها في أي لحظة.

وقف آسر عند المدخل، يراقبها وهي تخطو إلى الداخل بخطوات ثقيلة، بينما لم يبارح عينيه عنها للحظة. كانت أضعف مما يتذكر، أكثر هشاشة، لكنها ما زالت تملك ذلك التحدي الذي يزعجه في عينيها.

ما إن استقرت قدماها في الداخل حتى تقدم منها بخطواته الهادئة، ثم انحنى قليلًا ليهمس في أذنها بصوت بارد:

"مرحبًا بكِ في الجحيم، عزيزتي."

لم تحصل على فرصة للراحة.

بمجرد دخولها، واجهتها والدة آدم بعينين مشتعلة بالغضب والكره، وصفعتها بقوة حتى شعرت بدوار يلف رأسها.

"أنتِ لستِ أكثر من عار على هذا المنزل! أتظنين أن حملكِ بطفل من عائلتنا سيجعلكِ واحدة منّا؟"

حاولت سيانا الحفاظ على توازنها، لكن جسدها كان ضعيفًا، بالكاد يستطيع تحمل الألم الذي انهال عليها. لم تتوقف الصفعات والركلات، حتى شعرت بركبتها تصطدم بالأرض، وأدركت أنها لن تتمكن من النجاة بسهولة هذه المرة.

آسر كان يقف هناك، يراقب بصمت. لم يتدخل، لم يوقف أمه، لم يتحرك حتى.

وحين انتهت الأخيرة، اقترب منه بخطواتها المرتجفة وقالت:

"لا تجعلني أراها تتصرف وكأنها زوجتك بالفعل. إنها لا شيء، فقط أداة للانتقام، أفهمت؟"

ابتسم آسر ببرود، رفع يده ليبعد خصلة من شعر سيانا العالقة على جبينها، ثم همس:

"لا تقلقي، أمي. لن أنسى ذلك أبدًا."

كانت الليلة الأولى بعد عودتها إلى القصر أسوأ مما تخيلت.

لم يسمح لها آسر بالخروج من غرفتها، لم يسمح لها بتناول الطعام إلا ما يكفي لإبقائها على قيد الحياة، ولم يترك لها أي وسيلة للهرب.

في منتصف الليل، اقتحم غرفتها فجأة، عينيه تشتعلان بشيء لم تفهمه، لكنه جعل قلبها يخفق بجنون.

"أريد أن أوضح شيئًا واحدًا، سيانا."

تصلبت في مكانها، تحاول الحفاظ على هدوئها، لكنه تقدم ببطء، أجبرها

على التراجع حتى اصطدم ظهرها بالحائط.

اقترب حتى لم يعد هناك أي مسافة بينهما، ثم همس بصوت خطير:

"طفلي أو لا طفل، لن تكوني أكثر من ألعوبة في يديّ. وإن فكرتِ يومًا في تحدي أوامري، فسأجعلكِ تندمين ندمًا لا يمكن تصوره."

تسارعت أنفاسها، لكنها لم تستطع الرد.

نظر إليها للحظة، ثم ابتسم ببرود قبل أن يبتعد، وكأن شيئًا لم يحدث.

"نامي جيدًا، سيانا. الأيام القادمة ستكون... ممتعة."

ثم خرج، تاركًا إياها تغرق في رعبها، تدرك أكثر من أي وقت مضى أنها سجينة... وأن لا أحد سينقذها.

الفصل الثالث والعشرون – سلاسل من ذهب

كانت الشمس بالكاد قد أشرقت حينما استيقظت سيانا على صوت طرق عنيف على باب غرفتها.

لم تكن قد نامت سوى بضع ساعات، ومع ذلك، بدا أن جسدها يصرخ من الألم والتعب.

"انهضي، لا وقت للكسل."

كان صوت آسر، باردًا، حازمًا، لا يقبل أي جدال.

فتحت عينيها ببطء، نظرت حولها وكأنها تتوقع أن تجد نفسها في مكان آخر، مكان لا يملؤه الخوف والانكسار. لكن الحقيقة كانت واضحة... هي ما زالت هنا، أسيرة هذا القصر، أسيرة رجل لا يعرف الرحمة.

"أنتِ لم تسمعي ما قلته؟!"

لم تمنحها ثواني الصمت مزيدًا من الوقت، إذ انفتح الباب بقوة، وكشف عن وجه آسر الغاضب. كان يرتدي قميصًا داكنًا بأكمام مطوية، ويداه معقودتان أمام صدره وكأنه ينتظر منها أن تتحرك فورًا.

نهضت ببطء، حاولت ألا تُظهر ضعفها، رغم أن كل شيء بداخلها يصرخ بأنها لم تعد قادرة على الاحتمال.

"ماذا تريد؟" سألت بصوت متعب، لكن آسر لم يجب فورًا. بدلًا من ذلك، اقترب منها، عينيه مثبتتان عليها وكأنه يدرس كل حركة وكل نفس تأخذه.

ثم، بابتسامة ساخرة، قال:

"اليوم، سنذهب لشراء فستان زفاف جديد لكِ."

سقطت الكلمات على مسامعها كصاعقة، جعلتها تحدق به بعدم تصديق.

"ماذا؟!"

مال برأسه قليلًا، كأن رد فعلها لم يكن مفاجئًا بالنسبة له.

"سمعتِني جيدًا. حفل الزفاف الرسمي سيكون الأسبوع القادم، وأنتِ بحاجة إلى أن تظهري كزوجة تليق بعائلتنا أمام الجميع."

شعرت بحرارة الغضب تتصاعد في جسدها. كيف يمكنه أن يتصرف وكأن ما فعله بها لم يكن كافيًا؟ وكأنها ليست مجرد لعبة يحركها كيف يشاء؟

لكنها عرفت أنه لا فائدة من الرفض. لقد كان آسر مسيطرًا على كل شيء... على حياتها، على مستقبلها، وحتى على قراراتها.

أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يضيف بصوت أكثر خطورة:

"سيكون عليكِ التمثيل بشكل جيد أمام الجميع. لن تتفوهي بحرف واحد عن الأمور التي تحدث هنا، وإلا..."

اقترب أكثر، حتى أصبحت أنفاسه تلامس بشرتها، ثم همس بتهديد واضح:

"ستدفعين الثمن غاليًا، وأعدك أنني سأجعل حياتكِ أكثر جحيمًا مما هي عليه الآن."

لم تجبه، لم تستطع. كان هناك شيء في نبرة صوته، في عينيه، جعل الخوف يتسلل إلى أعماقها بطريقة لم تشعر بها من قبل.

في المتجر الفخم وسط المدينة، بدت سيانا كدمية مكسورة بين الأقمشة الفاخرة والزينة اللامعة.

كل شيء هنا كان مصممًا ليجعل العروس تشعر بالسعادة... لكنه لم يكن يعني لها شيئًا.

كان آسر يجلس على الأريكة الجلدية، ساقاه متقاطعتان، ينظر إليها ببرود بينما تختار إحدى الفساتين.

"هذا يناسبك."

أشار إلى فستان أبيض طويل، بسيط لكنه أنيق، لكن سيانا لم تحرك ساكنًا. لم تكن تهتم.

رأت انعكاسها في المرآة... فتاة شاحبة، عيناها خاويتان، وشفتاها متشققتان من الجفاف. لم تكن تشبه

العروس التي تحلم كل فتاة بأن تكونها.

لكنها لم تكن تملك الحق في الحلم.

آسر، الذي لاحظ صمتها، نهض واقترب منها. وقف خلفها مباشرة، حدق في انعكاسهما في المرآة، ثم قال بصوت هادئ لكنه مشحون بالتهديد:

"ابتسمي، سيانا."

أجبرت شفتيها على الانحناء في ابتسامة زائفة، لكنها لم تصل إلى عينيها أبدًا.

ورغم ذلك، رآها آسر، ولم يكن هناك شيء في عينيه سوى الرضا.

الفصل الرابع والعشرون – قيد من حرير

كانت القاعة مضاءة بأضواء كريستالية فاخرة، والموسيقى الهادئة تنساب برقة بين الحاضرين. حفل الزفاف الذي كان من المفترض أن يكون ليلة سعيدة لأي فتاة، كان بالنسبة لسيانا قيدًا جديدًا يُضاف إلى سلاسلها.

جلست على الكرسي بجوار آسر، الذي بدا كملك متوج في بدلته السوداء الفاخرة. عيناه القاتمتان تجولان في الحضور بلامبالاة، لكن

يده التي تستقر على فخذها كانت تذكرها بأنه متيقظ تمامًا لكل تحركاتها.

"ابتسمي."

كان أمرًا أكثر منه طلبًا، فلم يكن لديها خيار سوى الامتثال.

رفعت عينيها قليلًا نحو الحضور... عائلتها كانت هناك، تجلس في المقاعد الخلفية بوجوه شاحبة ومتوترة، وكأنهم يعلمون جيدًا أن هذه الليلة ليست إلا تمثيلية مأساوية.

أما والدة آدم، فقد كانت جالسة بفخر، وكأنها تحتفل بانتصارها.

التفتت إليها سيانا، ورأت كيف كانت المرأة تراقبها بعينين مليئتين بالكراهية، وكأنها تنتظر الفرصة المناسبة لتصب جام غضبها عليها.

"هيا، إنه وقت الرقصة الأولى."

سمعت صوت آسر بجانبها، قبل أن تشعر بأصابعه تطوق يدها بقبضة قوية. لم يمنحها فرصة للاعتراض، فقط نهض وسحبها معه نحو ساحة الرقص، حيث اجتمعت أعين الجميع عليهم.

الموسيقى بدأت... خطوة للأمام، خطوة للخلف...

لكن سيانا لم تكن ترقص، بل كانت تحاول فقط ألا تنهار وسط الجميع.

اقترب آسر منها أكثر، همس بصوت بالكاد سمعته وسط ضوضاء القاعة:

"لقد أصبحتِ لي بالكامل الآن، لا تنسي ذلك أبدًا."

شعرت بقشعريرة تسري في جسدها، لكن لم يكن ذلك بسبب قربه، بل بسبب البرودة التي تسربت إلى كلماته.

في تلك الليلة، داخل غرفة الزفاف، لم يكن هناك رومانسية ولا مشاعر دافئة كما يحدث في القصص...

كان هناك فقط آسر، ونظراته التي تفترسها بصمت.

اقترب منها بخطوات هادئة، عيناه تحاصرانها وكأنها فريسة محاصرة في قفصها الأخير.

"هل كنتِ تعتقدين أن الزواج سيمنحكِ مخرجًا من العقاب؟"

تجمدت في مكانها، لم تستطع أن تجيب.

ابتسم بسخرية، ثم أمسك بذقنها بإحكام، أجبرها على النظر إليه.

"الآن، ليس لديكِ خيار سوى الطاعة، سيانا. لن أسمح لكِ بأن تخرجي من حياتي حتى أقرر أنا متى تنتهي معاناتك."

شعرت برجفة تسري في جسدها، لكن لم يكن هناك مهرب... لم يكن هناك خلاص.

كانت قد سقطت بالكامل في عالم آسر، وابتداءً من هذه الليلة، لن يكون هناك طريق للعودة.

الفصل الخامس والعشرون – حدود الغضب

كان الليل هادئًا بشكل مخيف، لكن داخل القصر، لم يكن هناك أي هدوء... كان العاصفة تتشكل، ولم تكن سيانا تعلم أنها على وشك أن تُحاصر بداخلها دون مهرب.

كانت تجلس على حافة السرير، ذراعاها تطوقان جسدها النحيل كدرع وهمي، بينما يقف آسر أمامها، نظراته غامضة لكنها مشحونة بشيء لم تفهمه تمامًا... أو ربما كانت ترفض أن تفهمه.

"لقد مللت من هذه اللعبة، سيانا."
قال بصوت منخفض لكنه يحمل تهديدًا واضحًا.

رفعت عينيها نحوه، رافضة أن تبدي ضعفها رغم أنها كانت ترتجف داخليًا:
"أي لعبة؟"

اقترب منها، وضع يده على وجهها برقة مفاجئة جعلتها تتجمد في مكانها. "هذه المسافة بيننا... هذا الحاجز الذي تبنينه باستمرار، لقد انتهى وقتكِ."

أصابع يده الأخرى انزلقت ببطء نحو كتفها العاري، محاولًا سحبها نحوه، لكنها تراجعت فورًا، تدفع يده بعيدًا عنها بعنف. "لا تلمسني!"

عينا آسر اشتعلتا للحظة... لم تكن مجرد شرارة غضب، بل كان بركانًا بدأ في الانفجار.

"أنا زوجكِ، ولا يمكنكِ منعي من أخذ ما هو لي!"

صرخت وهي تحاول دفعه بعيدًا عنها، لكنه كان أسرع وأقوى. أمسكها من معصمها، سحبها بعنف ليجبرها على النظر في عينيه القاتمتين. "لماذا تستمرين في مقاومتي؟ هل تظنين أنكِ ما زلتِ تملكين الحق في الرفض؟"

ارتجف صوتها وهي تهمس: "أنا أكرهك..."

كان ذلك كافيًا ليحطم آخر خيط من ضبط النفس لديه. الغضب تفجر في داخله كما لم يحدث من قبل. أمسكها بقوة، دفعها نحو الحائط بقسوة جعلت الألم يشق طريقه عبر جسدها، لكنها لم تستطع حتى الصراخ من الصدمة.

"أكرهك؟! سأريكِ ماذا يعني أن تكرهيني فعلًا!"

لم يكن يدرك أنه قد تجاوز كل الحدود حتى سقطت بين يديه. شعر بجسدها يتراخى، بأنفاسها تصبح متقطعة بشكل مخيف، ثم... الصدمة الأكبر، الدماء التي تسربت عبر فستانها، وصراخها المكتوم الذي لم يكن سوى بداية سقوطها نحو اللاوعي.

المستشفى – ساعات لاحقة

كان آسر واقفًا في الممر، يداه ملطختان بدمائها، لكن هذه المرة لم يكن دم العنف الذي يريده، بل شيء آخر... شيء جعله يشعر بشيء يشبه الفراغ.

خرج الطبيب أخيرًا، نظر إليه بوجه متجهم، قبل أن يقول بصوت بارد: "لقد فقدت الطفل."

لم يعرف كيف عليه أن يشعر... هل كان من المفترض أن يصدمه الأمر؟ أن يحزن؟ أن يشعر بالذنب؟

لكنه لم يشعر بأي شيء. فقط الفراغ.

داخل الغرفة، كانت سيانا مستلقية، وجهها شاحب أكثر من أي وقت مضى، عيناها تحدقان بالسقف بلا تعبير، وكأن روحها قد رحلت بعيدًا عن هذا العالم.

وقف عند الباب يراقبها، لكن دون أن يقترب. لم تكن بحاجة لرؤيته الآن... لم تكن بحاجة لمزيد من الدمار.

مكان آخر – مستودع مظلم

لكن شخصًا آخر كان بحاجة لرؤيته.

الشخص الذي كان يتلاعب به منذ أسابيع، الذي أرسل له تلك الرسائل الغامضة، الذي تجرأ على التدخل في لعبته.

وقف آسر أمام الرجل المربوط إلى كرسي، رأسه منكفئ، الدماء تقطر من جانب وجهه حيث تلقى ضربات لا تحصى.

"إذن... كنت تعتقد أن بإمكانك العبث معي؟"

رفع الرجل رأسه بصعوبة، عيناه متورمتان لكنه تمكن من البصق عند قدمي آسر، متحدثًا بصوت ضعيف لكنه متهكم: "أنت مجرد... وحش جبان..."

ابتسم آسر، لكنه لم تكن ابتسامة حقيقية، بل شيء أكثر ظلمة.

"أعلم."

رفع السكين ببطء، وبلا تردد، غرسها في قلب الرجل.

تلاشى الضوء من عينيه فورًا، لكنه لم يشعر بأي نوع من الارتياح. لا شيء على الإطلاق.

سحب السكين، مسح الدماء من على يده، قبل أن يلقي نظرة أخيرة على الجثة الباردة.

ثم غادر، تاركًا خلفه جسدًا آخر... وذنبًا آخر، لكنه لم يكن يبالي.

الفصل السادس والعشرون – جحيم لا ينتهي

الظلام كان يخيم على أرجاء القصر، لكنه لم يكن أظلم من أعماق سيانا. كانت مستلقية في سريرها، عيناها تحدقان بالسقف، بلا تعبير... بلا دموع حتى. شعرت أنها تجاوزت مرحلة الألم، وأنها تحولت إلى مجرد جسد فارغ بلا روح.

لم تكن تعرف كم من الوقت مضى منذ أن استيقظت في المستشفى، منذ أن فقدت طفلها، منذ أن أعادها آسر إلى هذا المكان الذي أصبح قبرًا لها.

الباب انفتح ببطء، وصوت خطواته اخترق السكون. لم تنظر إليه، لم تكن بحاجة إلى ذلك. رائحته كانت تكفي لتخبرها أنه هو.

وقف بجوار السرير، صوته جاء هادئًا لكنه يحمل برودًا قاتلًا: "أنتِ من جلب هذا على نفسكِ."

لم ترد. لم يكن هناك ما تقوله.

جلس على حافة السرير، مد يده ليلمس شعرها، لكن حتى لمسته كانت تحمل شيئًا مظلمًا، شيئًا جعل جسدها ينتفض من الداخل.

"سيانا،" تابع بصوت منخفض، "إلى متى ستبقين على هذا الحال؟"

هذه المرة، استدارت لتنظر إليه، عيناها لم تكن تحملان أي حياة، لكن كلمتها الوحيدة اخترقت هدوءه: "إلى أن أموت."

لم يكن يعلم لماذا أثارت تلك الكلمات شيئًا في داخله. الغضب؟ الارتباك؟ لا... لم يكن يعرف.

أمسك بذقنها، رفع وجهها نحوه بقوة جعلتها تئن، لكنه لم يهتم. عيناه السوداوان غرقتا في عينيها الفارغتين، وحاول أن يبحث عن أي أثر للخوف فيها، لكنه لم يجد شيئًا.

"لن تموتي،" قال ببطء، كأنها حقيقة حتمية، "ليس قبل أن أنتهي منكِ."

ثم تركها، وقف مغادرًا الغرفة، تاركًا إياها وحدها... لكن حتى وحدتها لم تكن رحيمة.

في الخارج – غرفة مكتبه

كان آسر يقف أمام النافذة، يدخن سيجارة بينما أفكاره تتلاطم في عقله. الغضب لا يزال متقدًا في داخله، لكنه لم يكن يعرف لماذا لا يشعر بالرضا.

لقد حطمها تمامًا، سلب منها كل شيء، لكنها لم تنهار بالطريقة التي أرادها. لم تبكِ، لم تتوسل، فقط أصبحت فارغة، وهذا أغضبه أكثر من أي شيء.

"هل أنت راضٍ الآن؟"

استدار ليجد والده واقفًا عند الباب، عينيه الباردتين تدرسان ملامحه.

"الأمر لم ينتهِ بعد." قال آسر ببرود.

"لكنها انتهت." رد والده، متقدمًا نحوه، "لا فائدة من تعذيب جسد بلا روح، آسر."

صمت آسر لوهلة، قبل أن يبتسم بسخرية. "إذن، ما الذي تريدني أن أفعله؟ أن أتركها وشأنها؟"

"أريدك أن تفكر... ماذا بعد؟"

نظر إليه آسر طويلًا، قبل أن يشيح بوجهه بعيدًا، نافثًا الدخان ببطء. لم يكن يعلم الجواب... لكنه كان يعلم شيئًا واحدًا.

هذه القصة لم تنتهِ بعد.

الفصل السابع والعشرون – صراع بين الظلام والنور

جلس آسر في مكتبه، رأسه بين يديه، بينما يدور في عقله ضجيج لا يتوقف. الأيام الأخيرة كانت أشبه بفوضى

عارمة، وكأن عالمه ينهار من الداخل. لم يعد يفهم نفسه... لم يعد يستطيع السيطرة على غضبه كما اعتاد.

"آسر، عليك أن ترى طبيبًا."

رفع رأسه بحدة، نظراته القاتلة صوبت نحو صديقه الوحيد، زين، الذي وقف أمامه بعينين جادتين.

"ماذا قلت؟" سأل ببرود.

"أنت مريض، آسر. حالتك النفسية ليست طبيعية، وكل هذا العنف الذي تمارسه... أنت تدمر نفسك قبل أن تدمرها."

ضحك آسر بسخرية، لكنه لم يجد المتعة في ذلك. نظر بعيدًا، زفر بقوة، ثم قال بصوت منخفض: "وأنت تظن أنني بحاجة إلى طبيب؟"

"أنت تعاني من اضطراب ما بعد الصدمة واضطراب الشخصية المعادية للمجتمع،" أجابه زين بثقة، "إذا استمريت بهذا الشكل، ستصل إلى نقطة لا رجوع منها."

كانت تلك الكلمات كافية لزرع الشك في ذهنه. هل يمكن أن يكون كل هذا... مرضًا؟

عيادة الطبيب النفسي

جلس آسر أمام الطبيب، متوترًا بشكل غير مرئي، بينما بدأ الأخير بطرح أسئلة شخصية جدًا. في البداية، رفض الإجابة، لكن شيئًا داخله دفعه للكلام. تحدث عن ماضيه، عن غضبه، عن أفعاله... وعندما انتهى، كان الطبيب ينظر إليه بتفهم عميق.

"أنت لست شخصًا سيئًا، آسر، لكنك شخص مكسور."

ضاقت عيناه، لكن الطبيب أكمل بهدوء: "ما مررت به خلق بداخلك شخصًا آخر، شخصًا لا يثق بأحد ، أصبحت شخصاً مكسوراً دون أن تدرك"

نظر آسر إلى الطبيب بجمود، لكن الكلمات الأخيرة حركت شيئًا عميقًا داخله. لم يكن معتادًا على أن يصفه أحد بأنه "مكسور"، كان دائمًا إما القوي أو المسيطر، لكن مكسور؟ هذه كلمة لم تخطر بباله من قبل.

"أنا لست بحاجة إلى علاج." قالها بحدة، لكن صوته لم يكن بنفس الصلابة المعتادة، بل حمل شيئًا من التردد.

الطبيب لم يظهر أي انزعاج من ردة فعله، بل ابتسم بهدوء وقال: "كل من يمر بما مررت به يقول الشيء ذاته، لكن السؤال الحقيقي هو... هل أنت سعيد، آسر؟"

التزمت شفتاه الصمت، وعيناه ظلّتا جامدتين، لكن عقله كان يصرخ بإجابة لم يستطع النطق بها.

"الغضب، العنف، السيطرة... كلها آليات دفاعية، لكنها لا تحل شيئًا، بل تزيد من عمق الجرح." تابع الطبيب، صوته هادئ لكنه مخترق، "إذا كنت تريد أن تتحكم في حياتك حقًا، فعليك أن تواجه نفسك أولًا."

شعر وكأن شيئًا بداخله قد بدأ بالتشقق. هل ما يفعله كان مجرد محاولة يائسة للسيطرة؟ هل كان هروبه الحقيقي من ذاته؟

وقف آسر فجأة، كأن الهواء أصبح خانقًا. نظر إلى الطبيب ببرود

مصطنع وقال: "لقد أضعت وقتي." ثم خرج من العيادة دون أن يلتفت للخلف.

لكن رغم ذلك، لم تتوقف الكلمات عن التردد في رأسه...

"هل أنت سعيد، آسر؟"

في القصر...

عادت سيانا متأخرة إلى غرفتها تلك الليلة، بالكاد تستطيع الوقوف من التعب النفسي والجسدي. قلبها كان

مثقلًا بالألم، ليس فقط بسبب ما حدث لها، بل بسبب الطريقة التي ينظر بها الجميع إليها وكأنها مذنبة، وكأنها هي من جلبت هذا العذاب لنفسها.

جلست على طرف السرير، عيناها شاخصتان نحو اللاشيء، إلى أن فتح الباب بعنف ودخل آسر.

"إلى أين كنتِ؟" سأل بصوت منخفض لكنه يحمل في طياته عاصفة.

"لماذا يهمك الأمر؟" ردت ببرود، لم تكن تملك الطاقة لمواجهته.

اقترب بخطوات ثقيلة، نظر إليها من أعلى وكأنه يحاول اختراق عقلها. "أجبتِ على سؤالي بسؤال."

رفعت عينيها إليه، كانت تلك اللحظة مختلفة. لم يكن في نظراتها خوف، ولا استسلام. كانت فقط... فارغة.

"أنا متعبة، آسر."

جمد في مكانه. لم تكن مجرد كلمة، بل كان هناك شيء في صوتها، شيء جعله يشعر بالضيق في صدره.

"متعبة من ماذا؟"

منك." قالتها بلا تردد، بلا خوف، بلا" اكتراث حتى لردة فعله.

شعر وكأن الهواء قد سُحب من الغرفة للحظة. لم يكن هذا ما توقعه، لم يكن هذا ما اعتاد عليه منها.

أنا أكرهك." أكملت بصوت خافت" لكنه محمل بثقل لا يُطاق، "وأكره كل شيء متعلق بك."

كانت كلماتها كالسيف، لكنها لم تؤذِه كما توقعت... بل أغرقته أكثر في ذلك الفراغ الذي بدأ يبتلعه.

لكن بدل أن يرد عليها بغضب، وقف هناك فقط... صامتًا، عالقًا بين كل ما

اعتقد أنه يعرفه، وبين الحقيقة التي كان يرفض رؤيتها.

غادر الغرفة بهدوء يحاول ان ينفس عن غضبه و يتمالك أعصابه لا يريد أن يؤذيها اكتر من ذلك ..

الظلام يغلف الأجواء كما لو كان يعكس ظلمة ما بداخل آسر. وقف في شرفته، ممسكًا بكأس من الويسكي، يتأمل الأضواء البعيدة للمدينة، لكنه لم يكن يراها حقًا. كان عقله مشغولًا بشيء واحد فقط... سيانا.

رفضها له، كرهها الذي لم يعد مجرد نظرات متحجرة أو كلمات حادة، بل أصبح شيئًا محسوسًا في الهواء بينهما.

"أنت وحش، آسر."

ترددت كلماتها في ذهنه كصدى لا ينتهي.

شعر بقبضة قوية تضغط على صدره. كان يعلم أنه أذاها بطرق لا تُغتفر، لكنه لم يستطع التوقف. كان العنف طريقته الوحيدة للتعبير، الطريقة الوحيدة التي يعرفها للسيطرة على عالمه الفوضوي. لكن الآن، العالم من حوله لم يعد يطاوعه، وسيانا لم تعد تخضع له كما في السابق.

في الصباح التالي...

دخلت سيانا إلى غرفة الطعام ببطء، جسدها ضعيف، عيناها هادئتان بطريقة مخيفة. جلست أمامه، لم تتكلم، لم تنظر إليه حتى.

"تناولي طعامك." قال بصوت منخفض، دون أن يرفع عينيه عن صحنه.

لم ترد.

ضغط على فكيه، ثم رفع نظره نحوها، لكن ملامحها لم تكن تحمل شيئًا. كانت فارغة، وكأنها لم تعد موجودة هنا، معه، في هذا القصر.

"سيانا..."

أخيرًا، تحركت، وضعت الشوكة على الطاولة، رفعت رأسها ببطء، نظرت إليه مباشرة.

".أريد الطلاق"

تجمد مكانه، وكأن أحدهم سحب الهواء من رئتيه. نظر إليها بعدم تصديق، قبل أن يميل للأمام، ذراعيه تستندان على الطاولة.

".قوليها مرة أخرى"

".أريد الطلاق"

صوته خرج أكثر حدة هذه المرة: ".ليس لديكِ الحق في طلب ذلك"

ضحكت بسخرية، لكنها كانت ضحكة خالية من أي حياة. "ليس لدي الحق؟ إذًا ماذا لدي يا آسر؟ هل لدي الحق في الحياة؟ في الراحة؟ في ألا أتعرض للأذى كل يوم؟"

تشنج فكّه، لكن قبل أن يتمكن من الرد، أكملت بحدة:

"لقد حطمتني، آسر. أنت وأهلك دمرتم حياتي، قتلتم روحي، سحقتم كرامتي تحت أقدامكم." ارتجف صوتها للحظة لكنها تابعت: "لكنني انتهيت، لم يعد لدي شيء لأخسره."

وقف فجأة، دفع الكرسي للخلف بعنف، ثم تحرك نحوها بسرعة.

أمسكت بطرف الطاولة، مستعدة لأي شيء قد يفعله، لكنه توقف قبل أن يصل إليها، يده مضمومة بقوة حتى تبيض مفاصله.

"أنتِ لن تغادري هذا المكان،" قال ببطء، كأن كل حرف كان يُطعن في صدره.

"بل سأفعل."

"سيانا..."

"سأهرب إن اضطررت، وسأختفي من حياتك، للأبد."

كانت تلك القشة الأخيرة. قبل أن تدرك ما حدث، كانت مسمرة على الحائط، يده تطوق معصمها بقوة، عينيه تشتعلان بالغضب.

"لن تذهبي لأي مكان،" همس بصوت منخفض وخطير، "إن كنتِ تظنين أنني سأتركك، فأنتِ مخطئة."

"لا يمكنك حبسي للأبد."

اقترب أكثر، حتى شعرت بأنفاسه الساخنة على وجهها. "هل تراهنين؟"

لكنها لم تجبه، فقط حدقت في عينيه، عيني الرجل الذي دمر حياتها. الرجل الذي أقسمت يومًا أنها

ستكرهه للأبد... لكنها شعرت، ولو للحظة، بأن شيئًا بداخله يتغير.

ولكن... هل هذا كافٍ؟

الفصل الثامن والعشرون – انهيار الإمبراطورية وهروب سيانا

كانت ليلة مظلمة حين قررت سيانا أن الوقت قد حان للهروب. لم يعد بإمكانها تحمل المزيد، بعد كل ما مرت به، بعد كل ليلة قضتها تبكي بصمت تحت وطأة الألم الجسدي

والنفسي. لم تعد تملك خيارًا سوى الهروب، ولو كلفها ذلك حياتها.

تسللت عبر الممرات بهدوء، قلبها يخفق بجنون، عيناها تراقبان كل حركة حولها. علمت أن أي خطأ قد يعيدها إلى الجحيم مجددًا. لكن القدر كان في صفها تلك الليلة، إذ تمكنت من تجاوز البوابة الخلفية دون أن يلاحظها أحد. وما إن لمست قدماها الطريق الخارجي حتى شعرت بحرية لم تعهدها من قبل.

ركضت... ركضت بكل ما أوتيت من قوة، دون أن تنظر خلفها. لم تكن تعلم إلى أين ستذهب، لكنها كانت تعلم شيئًا واحدًا فقط... لن تعود أبدًا.

انهيار الإمبراطورية

في الأسابيع التالية، بدأ عالم عائلة آسر بالانهيار. الشركات التي كانت تحت سيطرتهم تعرضت لهزات اقتصادية، سمعتهم تحطمت أمام الجميع بسبب فضائح مالية وقضايا فساد. بدأ المستثمرون في الانسحاب واحدًا تلو الآخر، ولم يمر وقت طويل حتى أعلنت العائلة إفلاسها رسميًا.

تحولت قصتهم إلى حديث كل لسان. الصحف والمجلات لم تتوقف عن نشر الأخبار حول سقوطهم المدوي، كيف تحولوا من أغنى العائلات إلى عائلة

تطاردها الديون والملاحقات القانونية.

أما آسر... فقد كان يشاهد كل شيء وهو ينهار أمامه. كان يعلم أن هذه ليست مجرد صدفة، بل كأن القدر يعاقبه على كل ما فعله.

بعد سنوات...

في قرية صغيرة نائية، حيث الهواء نقي والأيام تمر بهدوء، كانت سيانا قد بدأت حياة جديدة. أصبحت امرأة قوية، مستقلة، تدير مشروعًا زراعيًا

صغيرًا وتعيش بعيدًا عن ضوضاء العالم الذي دمرها ذات يوم.

لم تكن تظن أن ماضيها سيجد طريقه إليها مجددًا... حتى وقف أمامها ذات مساء، بعيون أنهكها الزمن، بجسد لم يعد يحمل الغطرسة ذاتها، وبقلب يحمله الندم أكثر من أي شيء آخر.

"سيانا..." نطق باسمها بصوت مرتجف، وكأن الزمن عاد به إلى الوراء.

نظرت إليه ببرود، وكأنها ترى شبحًا من ماضٍ بعيد. "ما الذي تريده، آسر؟"

أخذ نفسًا عميقًا، نظر إليها وكأنها الشيء الوحيد الذي بقي له في هذا

العالم. "أريد أن أطلب منك شيئًا واحدًا فقط... أن تسمعيني."

تصلبت ملامحها، لكن الفضول بداخلها دفعها للاستماع.

"أنا تغيرت." قال بصوت ضعيف، وكأنه يعترف بجريمة، "ذهبت إلى العلاج، واجهت نفسي، تعلمت كيف أكون إنسانًا. كان يجب أن يحدث كل هذا لي حتى أفهم مدى بشاعتي... ومدى الأذى الذي سببته لك."

توسعت عيناها للحظة، لكنها سرعان ما استعادت هدوءها. "وهل تظن أن هذا يمحو كل شيء؟ هل تعتقد أنني نسيت؟"

أخفض رأسه للحظة، ثم رفعه ونظر إليها برجاء. "لا، أعلم أنني لا أستحق المغفرة، لكنني أردت فقط أن أقول لك الحقيقة... كنت أحبك، لكنني كنت أحمقًا غارقًا في الكراهية والانتقام."

شعرت بوخزة في قلبها، لكنها لم تسمح لنفسها بالتأثر. "لقد تأخرت كثيرًا، آسر."

أغمض عينيه للحظة، وكأنه يتقبل مصيره، ثم فتحهما ليواجهها للمرة الأخيرة. "إذا كنتِ ما زلتِ ترغبين في الطلاق، فسأوقع عليه دون نقاش."

تجمدت في مكانها للحظة، ثم قالت بحزم: "نعم، أريد الطلاق."

أومأ برأسه، لم يكن هناك احتجاج، لم يكن هناك أي محاولة للتمسك بها... فقط استسلام هادئ، وكأنه أخيرًا قرر أن يمنحها الحرية التي تستحقها.

استدار ليغادر، لكنه توقف للحظة وقال بصوت خافت: "أتمنى لك السعادة، سيانا." ثم رحل، تاركًا خلفه ماضيًا لم يعد يملك القدرة على إصلاحه.

الفصل الأخير

الرحيل الأخير

كان المساء قد حلّ على القرية الهادئة، والهواء البارد يحمل معه همسات الماضي. جلست سيانا أمام نافذتها، تحدّق في الحقول الممتدة، حيث اتخذت لها حياة جديدة بعيدة عن كل شيء. لقد مرت سنوات، لكنها لم تنسَ. لم تستطع نسيان كل شيء حدث، كل جرح طُبع في قلبها وجسدها.

ثم جاءه اليوم الذي لم تتوقعه...

آسر عاد.

كان يقف أمام منزلها، وجهه لم يعد كما كان. لم يعد ذلك الرجل المغرور، المتغطرس، المليء بالغضب. بل كان رجلاً آخر، بملامح متعبة، وعينين تحملان ندمًا لا حدود له.

"سيانا..." نطق باسمها بصوت بالكاد خرج من حنجرته.

نظرت إليه ببرود، وكأن السنوات التي مرت جعلتها ترى الأمور بوضوح. "لماذا أتيت؟"

اقترب منها، لكن بخطوات حذرة، كمن يخشى أن يتحطم شيء بينهما. "أتيت لأنني لم أستطع العيش بدونك. أتيت لأنني تغيرت."

ضحكت بسخرية، لكنها لم تكن ضحكة استهزاء بقدر ما كانت ضحكة مريرة. "تغيرت؟ بعد ماذا؟ بعد أن دمرت حياتي؟ بعد أن جعلتني أكره حتى النظر في وجهك؟ بعد أن فقدت طفلي بسببك؟ بعد أن..." اختنق صوتها وهي تستعيد الذكريات القاسية.

"أعلم،" قال بهدوء، وعيناه تتحولان إلى بحر من الحزن، "أعلم أنني فعلت ما لا يُغتفر. لكنني ندمت... وعملت على تغيير نفسي. ذهبت إلى العلاج، حاربت شياطيني، وأصبحت شخصًا آخر. كل ذلك لأجلك."

صمتت لوهلة، لم تكن تعرف ماذا تقول. نعم، أرادت سماع هذا، لكنها

في الوقت ذاته لم تعد قادرة على العودة. لم تعد تلك الفتاة التي كانت تنتظر خلاصها من بين يديه.

"جئت لأمنحك الطلاق،" قال فجأة، ليكسر حاجز الصمت الثقيل.

رفعت عينيها إليه، تفاجأت للحظة، لكنه أكمل: "إذا كنتِ ترغبين في إنهاء كل شيء، سأترككِ وشأنكِ. لا أريد أن أكون عبئًا عليكِ بعد الآن."

ارتجفت شفتاها، لكنها لم تقل شيئًا. أرادت هذا منذ سنوات... أليس كذلك؟

لكن لماذا شعرت أن شيئًا في داخلها انهار في تلك اللحظة؟

تأملته طويلًا، أدركت أنه كان صادقًا، أنه لم يعد الوحش الذي عرفته من قبل. لكنها لم تكن متأكدة إن كانت قادرة على المسامحة... على النسيان.

"سأرسل لك الأوراق قريبًا،" قال أخيرًا، بخيبة أمل واضحة. التفت ليرحل، لكن خطواته كانت بطيئة، وكأنه يأمل أن توقفه.

لكنها لم تفعل.

وقفت تراقبه وهو يبتعد، والقلب الذي ظنت أنه أصبح حجرًا... شعر بثقل غريب. لم تكن النهاية التي تخيلتها، لكنها كانت النهاية التي اختارتها.

وربما، في يوم ما... حين تلتئم كل الجراح، وحين تتوقف الذكريات عن النزف... قد تكون هناك بداية جديدة، في مكان آخر، في زمان آخر.

لكن ليس اليوم.

النهاية المفتوحة... والقلوب التي لم تُغلق أبوابها تمامًا..

... الـنهاية